«الطقوس الدينية» في الخطاب الحداثي

دراسة تحليلية نقدية

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط

أكاديمية سعودي، أستاذ مشارك، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى عرض مفهوم الطقوس عند الحدثيين العرب عرضـًا تحليليـًا ونقديـًا، من خلال دراسة كتاباتهم عن الطقوس الدينية، وبيان مفهوم الطقوس في الطرح الفكري الغربي أولاً، وبيان معناها عند الحداثيين العرب عبر استعراض أهم تعريفاتهم للطقوس، ثم عرض وظائف الطقوس وَفق النظرة الحداثية، مجمَلةً في الوظيفة الرمزية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية.

وقد عرضت الدراسة جملة من التطبيقات الحداثية في توظيف المصطلح على جملة من العبادات مثل الصلاة والحج واحكام الجنائز، واستعرضت أهم الملاحظات النقدية على هذا التوظيف، عبر قراءة تفكيكية للفعل الحداثي في هذا المجال، رابطة ذلك بالجذور الغربية الفلسفية لهذا الفكر.

وكان من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

- أن مصطلح (الطقوس) هو مصطلح جديد في فضائنا الفكري، وليس من إنتاج ثقافتنا العربية أو الإسلامية، بل هو من المصطلحات المستوردة من العالم الغربي.

- أن وظائف العبادات في الخطاب الحداثي تختزل في ثلاثة أدوار؛ هي: الوظيفة الرمزية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة النفسية.

- ينطلق أهل الحداثة في كتاباتهم النقدية للإسلام من الخلفية المادية التي لا تؤمن بدين خارج نطاق التاريخ، لذلك جاءت رؤيتهم للعبادات في الإسلام متناسقة ومنسجمة تمامًا مع المفهوم الغربي للطقوس الدينية.

- سمة النقد الحداثي للعبادات في الإسلام هي أنه كان نقدًا منفتحًا على المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني الغربية، دون اعتبار لخصوصيتها الثقافية ونسبيتها الزمكانية.

د. ندى بنت حمزة بن عبده خياط
nada4100@gmail.com

❁ ❁ ❁

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيد ولد آدم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛ فإن ما تشهده الساحة الفكرية المعاصرة من هجمة شرسة على ثوابت الدين وتفريغ لمضامينه باستخدام أحدث المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني -وخصوصًا مناهج ما بعد الحداثة- في هذه السنوات الأخيرة التي نعيشها = لهو أمرٌ جللٌ، يستلزم استنفارًا من المختصين والمهتمين بالشأن الديني؛ لتحليل ونقد ما يُنتَج من أفكار، وما يُستحدث من مفاهيم، وما يُصاغ ويُستجلب من مصطلحات غربية، من قبل أدعياء الحداثة العربية المعاصرة، من بيئتها التي أنتجتها، دون مراعاة لخصوصيتها المعرفية التي أفرزتها، وتطبيقها كما هي على هذا الدين الحنيف؛ لإفساد عقيدته وللتشكيك في صحته وطمس حقيقته، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: ٣٢- ٣٣].

ورغبة في المشاركة في التصدي لهذا الجيش الجرار الذي يعصف بالأفكار، عزمت على دراسة بعض هذه الأفكار، ومن بينها مصطلح (الطقوس الدينية) الذي يستخدمه الحداثيون لنزع القداسة عن العبادات الإسلامية؛ رغبة منهم في القضاء على الإسلام وتنحيته عن واقع المسلمين المعاش.

وقد وقفت على عدة كتابات ودراسات حداثية للعبادات في الإسلام، منها ما أفرد في مؤلف خاص ككتاب: **طقوس العبور في الإسلام**: دراسة في المصادر الفقهيّة، للمؤلف: عبد الرحيم بوهاها[١].

وكتاب **ليلة القدر في المتخيل الإسلامي**، للمؤلف: بسام الجمل[٢].

وكتاب **الموت وطقوسه من خلال صحيحي البخاري ومسلم**، للمؤلفة: رجاء بنت سلامة[٣]، وفي المقابل لم أقف على دراسة خاصة في معالجة هذا الموضوع ونقده،

لذلك اخترت دراسة هذا الموضوع تحت عنوان: (**الطقوس الدينية في الخطاب الحداثي: دراسة تحليلية نقدية**).

وعن خطتي في البحث:

فقد رسمتُ لبحثي خطة مكونة من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول خصصته لتعريف الطقوس وبيان علاقتها بالمعتقد.

و**المبحث الثاني** خصصته لبيان وظائف الطقوس في الخطاب الحداثي.

و**المبحث الثالث** ذكرت فيه نماذج وتطبيقات عملية لتوظيف الحداثيين لمصطلح الطقوس على العبادات في الإسلام.

و**المبحث الرابع** ذكرت فيه ملاحظات نقدية على استخدام الحداثيين

---

(١) سيأتي التعريف به في أثناء البحث.

(٢) سيأتي التعريف به في أثناء البحث.

(٣) سيأتي التعريف بها في أثناء البحث.

لمصطلح الطقوس على العبادات في الإسلام.

ثم الخاتمة وقائمة بالمراجع وفهرس للمحتويات.

وقد رسمت لبحثي منهجًا حاولت الالتزام به، وهذه أبرز ملامحه:

- الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي في بيان مفهوم (الحداثة) و(الدين) و(الطقوس) في الفكر الغربي من خلال المراجع المعتمدة.

- الاعتماد على المنهج الوصفي في عرض طريقة توظيف الحداثيين للمصطلح بذكر نماذج من كتابات بعض رموزهم، من غير استقصاء، فإن ذلك مما لا تتحمله طبيعة هذا البحث المختصر، مع الالتزام بالمنهجية العلمية في تسجيل أقوالهم وعدم اجتزائها.

- عرض أبرز الملاحظات النقدية على أقوالهم مع التزام العدل والإنصاف.

- تخريج الأحاديث بعزوها وبيان الحكم عليها.

- التعريف بالأعلام بشكل مختصر.

وأسأل الله جل في علاه أن يوفقني ويتقبل مني هذا العمل خالصًا لوجه الكريم، وأن يستعملني في مرضاته سبحانه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

قبل الولوج في تفاصيل البحث يحسن هنا أن نمهد له بذكر مفهوم الحداثة، ثم بيان معنى الدين وما يشتمل عليه من مكونات أساسية في الفكر الغربي المعاصر.

إن معنى الحداثة يستحضر فكرة قيام عصر جديد على أنقاض القديم، عهد من التقدم غير المحدَّد، وللحداثة مدافعون عنها متحمّسون، كما أن لها من ينتقدها بشدة حتى في الغرب نفسه.

ولفهم المصطلح لا بد من دراسة وتتبع ظهوره داخل المجتمع المدروس، ففي الفضاء العربي نجد أن الحداثة تعني عند البعض (النهوض بأسباب العقل والتقدم)، وعند آخرين هي (ممارسة السيادات الثلاث عن طريق العلم والتقنية: السيادة على الطبيعة، والسيادة على المجتمع، والسيادة على الذات)، والبعض يقصرها على (قطع الصلة بالتراث) و(طلب الجديد) و(محو القدسية عن العالم) و(العقلنة) و(الديمقراطية) و(حقوق الإنسان) و(قطع الصلة بالدين) و(العلمانية)[1]، فالحداثة تختلف بحسب رؤى وطموحات أصحابها واتجاهاتهم الفكرية، ويُمكن أن تعرّف بأنها: محاولات فكرية -إما في التنظير وإما في الممارسة- تحاول أن تتخذ من الأنموذج الغربي مثالًا أعلى يُحتذى به، في مساره الفلسفي وفي تحولاته الفكرية، في قراءة التاريخ والتراث وتحديد مفهوم النهضة والتقدم بوعي أو بغير وعي أحيانًا.

يسعى أدعياء الحداثة في مقارباتهم الفكرية وأطروحاتهم الفلسفية عند

---

(١) انظر: ص٢٣ روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، و ص١١٧ أوهام الهوية.

دراستهم للدين الإسلامي وقراءتهم لنصوص الوحيين أن يدرسوا الدين على أنه ظاهرة بشرية تُطرح على بساط الدرس والمعالجة كأي ظاهرة إنسانية أخرى، تخضع لتحولات وتغيرات نقدية وجذرية، في محاولات وتوسلات حثيثة منهم؛ لإعادة ترتيب المشهد الإسلامي وَفق القيم العالمية وهيمنة النموذج الثقافي الفكري الأجنبي.

ولأجل ذلك حاول أصحاب هذا الاتجاه الحداثي إخضاع النص الشرعي بمكوناته العقدية والعبادية لعملية تحديث مستمرة، عبر استخدام ترسانة ضخمة من المناهج الحديثة والعلوم الإنسانية المعاصرة، وإنزالها على الدين الإسلامي لفك غموضه وإزالة لُبسه؛ لتحليل البنى المكونة له -كما يزعمون(١)- كسائر الأديان الأخرى، دون اعتبار لخصوصية هذا الدين، ولا مراعاة لتفرده وتمايزه عن غيره من سائر الأديان.

وقد اهتم الفكر الغربي المعاصر اليوم بدراسة الأديان باعتبارها ظاهرة من الظواهر الإنسانية المرتبطة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وذلك لما لها من أهمية وحضور في نفس الإنسان، والأديان من أهم مكونات الشخصية الأساسية كما يقول علماء النفس والاجتماع، فالدين لا يمكن نزعه واستئصاله من المجتمعات؛ لأنه "ما إن يُطرد من حياة بعض المجتمعات بسبب سيطرة

(١) تقول آمال قرامي: "فالإسلام مثله مثل أي دين آخر، ليس منظومة عقدية دينية نظرية منغلقة بقدر ما هو تمثل بشري وممارسة اجتماعية يومية متغيرة، تتأثر بطروف الواقع التاريخي وبأحوال الناس وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والسياسية، فيتحول الدين نتيجة ذلك إلى ظاهرة اجتماعية لها دلالتها ووظائفها. ولئن حاول البعض قصر مفهوم الإسلام على العقيدة والعبادات فإن معاينة الواقع أثبتت أن الدين مفهوم ثقافي عام يتجاوز حدود العقائد والطقوس" ص١٣٢ الإسلام الآسيوي.

النزعة العقلانية العلمانية في العصور الحديثة؛ حتى يعود بقوة من جديد في حياة تلك المجتمعات، لذلك لا يمكننا أن نتصور مجتمعًا انتفى المقدس من حياة جميع فئاته"(١).

فالدين دائم الحضور، ولا توجد لحظة تاريخية عاشها الإنسان من غير دين، فالإنسان هو "كائن متدين"(٢) بامتياز.

يقول غوستاف لوبون الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي في كتابه: (الآراء والمعتقدات) في الإيمان إنه: "يتبدل موضعًا ولكنه لا يموت أبدًا، لأن احتياج الإنسان إلى الاعتقاد هو عنصر نفسي مسيطر كاللذة والألم"(٣).

ومن المستحسن ذكره هنا وقبل الولوج في تفاصيل هذه الورقة بيان معنى الدين في المفهوم الغربي، وبيان مكوناته الأساسية التي اشتمل عليها، وهو المعنى الذي يُجمع عليه أدعياء الخطاب الحداثي العربي.

إن تعريف الدين في الفكر الغربي المعاصر يتضح من خلال البحث في كتابات علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا(٤)، فنجد أن معنى الدين عند مؤسس علم الاجتماع دور كهايم(٥) (ت١٩١٧م) هو: "نظام متّسق من المعتقدات

(١) ص ٢٧٦ متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، حمادي المسعودي.

(٢) ص١٩ الدين والتدين.

(٣) ص١٥ الآراء والمعتقدات.

(٤) الإنثربولوجيا أو الإنتربولوجيا: هو الفرع الذي يهتم بعلم الإنسان ويجعله محور البحث الفلسفي فيما يتعلق به من الجوانب الفكرية والمعرفية والجوانب العلمية والنفسية. انظر: (١/ ٧٤)، موسوعة لالاند الفلسفية.

(٥) شخصية فرنسية تُعد من أهم الشخصيات الفكرية الغربية في إنشاء علم السوسيولوجيا، من مؤلفاته: الأخلاق المهنية والأخلاق المدنية، انظر: ص١١٤-١٢٥خمسون عالِمًا اجتماعيًّا =

والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة، يجيء عزلها عن الوسط الدنيوي، وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنيسة"[١].

ويرى أيضًا أن طبيعة تكوين الظواهر الدينية تنقسم "إلى قسمين أساسيين: العقائد والطقوس، الأولى هي حالات الفكر وتظهر في التمثلات، والثانية هي أشكال معينة من الفعل، وبين هذين المستويين يوجد الفاصل بين الفكر والعمل"[٢].

فالدين في الفكر الحديث مركب من أمرين أساسيين؛ هما: المعتقد والطقس المعبر عن المعتقد، يقول رائد علم الأنثروبولوجيا جيمس فريزر[٣] (ت١٩٤١م) في أثناء تعريفه للدين: "الدين كما أفهمه هو عبارة عن استرضاء أو استمالة قوى تفوق قوة الإنسان، يعتقد أنها توجه وتتحكم بسير أمور الطبيعة والحياة البشرية"[٤].

وفي بيان هذا المعنى يقول فراس السواح[٥]: إن الدين هو "عملية استرضاء

=

أساسيًّا (المنظّرون المؤسّسون).

(١) ص ٤٧ الأشكال الأولية للحياة الدينية.

(٢) ص ٥٠ المرجع السابق.

(٣) عالم إسكوتلندي، ألف كتابه المشهور (الغصن الذهبي) (The Golden Bough)، وهو عبارة عن دراسة في السحر والدين، وضح فيه أن كثيرًا من الأساطير الدينية و الشعائر الدينية أصلها منذ أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ، وأن التطور العقلي البشري مر بثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم. انظر: التعريف به ص٦ وما بعدها من مقدمة المترجم لكتاب الغصن الذهبي (دراسة في السحر والدين).

(٤) ص٧٩ المرجع السابق.

(٥) كاتب ومفكر وباحث سوري في المثيولوجيا وتاريخ الأديان، ولد في مدينة حمص السورية

=

وطلب عون أعلى من الإنسان، يُعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي إلى عنصرين، واحد نظري والآخر تطبيقي عملي. فهناك الاعتقاد بقوى عليا، يليه محاولات لاسترضاء هذه القوى، ولا يصح الدين بغير توفر هذين العنصرين"(١).

وستلقي هذه الورقة بإذن الله الضوء على معنى الطقوس، وستبيّن الدور الحداثي في نزع القداسة وزعزعة الثوابت وأنسنة الطقوس بحسب الأمزجة والأهواء، ودون اعتبار لخصوصية هذا الدين وتعاليمه، وكيف يحصل كل ذلك وفق سياسة العرض والطلب في سوق عالم الأفكار المعاصر.

المبحث الأول

تعريف الطقوس وعلاقتها بالمعتقد

يعرض هذا المبحث معنى الطقوس في المعاجم الفلسفية الغربية، فهذه المفردة مستوردة من الثقافة الغربية ومأخوذة عنها.

أما عند البحث عن مفهوم الطقوس في المعاجم فإننا لا نجد لها تعريفًا في المعاجم اللغوية العربية القديمة ككتاب: (العين) للفراهيدي وكتاب (تهذيب اللغة) للأزهري وكتاب (لسان العرب) لابن منظور وكتاب (مقاييس اللغة) لابن

=

عام ١٩٤١م، يعمل أستاذًا بدرجة (بروفيسور) في جامعة بكين للدراسات الأجنبية منذ عام ١٩٧٦، وهو مختص بدراسة الحضارة العربية وتاريخ الأديان في الشرق الأدنى، ولمزيد من التعريف به راجع: حوار مع المفكر السوري فراس السواح، حاوره: عبد الستار الكفيري، بتاريخ ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

(١) ص ٢٣ دين الإنسان.

فارس وكتاب (تاج العروس) للزبيدي، في حين أنّا نجد معنى الطقوس في المعاجم الحديثة مثل (المعجم الوسيط)، وفيه أن كلمة طقوس تشير "إلى الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي، ويشار بها في الديانة المسيحية إلى النظام الذي تتمّ به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدسة"(١)؛ أي أن معناها خاصٌّ بالدين المسيحي.

أما في المعاجم الفلسفية ومعاجم علم الاجتماع وغيرها فإننا نجد أن مفردة الطقس في اللغتين الفرنسية والإنجليزية هي كلمة: (Rite)، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية: (Ritus)، وجاء معناها في قاموس لاروس أنها: "مجموع الأنشطة والأفعال المنظمة التي يتخذها جماعة ما خلال احتفالاتهم"(٢)، فالطقوس إذن ممارسات جماعية ولها صبغة احتفالية كما يظهر من هذا التعريف.

وقد توسع معجم مصطلحات علم الاجتماع في ترجمة وبيان معنى الطقوس (Rites)، وذكر أن معناها هو: (الشعائر)، وأن كلًّا من جيمس فريزر، ولوسيان ليفي بروهل(٣)، وكلود ليفي ستروس(٤)، قد ذكروا في عدد من الكتب المخصصة

---

(١) ص ١١ (مادة: ط ق س) المعجم الوسيط.

(٢) Rite: mot dérive du Latin "Ritus", 1486, in Larousse, Dictionnaire de la langue franهaise, Ed 1988 , p 1652.

(٣) لوسيان ليفي-بريل توفي سنة ١٩٣٩م، فيلسوف وعالم اجتماع، وأثنولوجي فرنسي. له بحوث في العقلية البدائية. كان أستاذًا بجامعة السوربون، أهم كتبه (الوظائف العقلية في المجتمعات البدائية)، و(العقلية البدائية)، انظر: ص٦٠٩ معجم الفلاسفة.

(٤) يعد من أهم الأثنولوجيين الفرنسيين الذين لهم تأثير ملحوظ في تطور العلوم الإنسانية عامة والأبحاث الأنثروبولوجبة على وجه التحديد، وله عدة مؤلفات من بينها: الأنثربولوجيا =

للسحر والعقلية البدائية أو الفكر الهمجي أن الطقوس: "مجموعة من الأفعال المتكررة والمقنّنة، غالبًا ما تكون احتفالية وذات طابع شفوي أو حركي أو وضعي، وذات صبغة رمزية وترتكز هذه الأفعال على الإيمان بقوة الكائنات الفعالة أو بالقدرات المقدسة، التي يسعى الإنسان للتواصل معها"(١)، وعلى هذا التعريف تكون الطقوس عبارة عن ممارسات وأقوال قد تكون احتفالية وقد لا تكون، تهدف لاتصال الإنسان بكائن أعلى وأسمى.

وجاء في ذات هذا المعجم أيضًا أن الطقوس صنفان؛ هما: "طقوس إيجابية كالصلاة والتبرع، أو سلبية كالمحرمات والممنوعات، أو بالتكفيرية بالإحالة إلى التطهير أو التكفير عن الذنوب"(٢).

وقد ذكر الكاتب الألماني قوفمان في مقاربته السيوسيولوجية(٣) للممارسات في حياة الناس "أن الناس كائنات طقوسية بكل امتياز، ولا يمكنهم العيش معًا إلا بواسطة طقوس تنظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة"(٤)، فالطقوس إذن من أخص

=

البنائية. توفي سنة ٢٠٠٩م، انظر: ص٣٥٠-٣٥٣ خمسون عالِمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظّرون المعاصرون).

(١) ص ١٥٣-١٥٤ معجم مصطلحات علم الاجتماع.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) السوسيولوجيا: تعني دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها تشكل مجالًا لمؤثرات طبيعية خاضعة لقوانين على غرار قوانين الظواهر الفيزيائية والبيولوجية. انظر: (٣/١٣٠٨) موسوعة لالاند الفلسفية.

(٤) Goffman, Erving, les rites d'interaction, (trad. de l'anglais par Alain Kihm,) Paris

Minuit, coll «le sens commun», 1974, p 240

خصائص الإنسان ولها أهمية بالغة في تنظيم حياته مع الآخرين.

وقال رائد علم الاجتماع المعاصر ماكس فيبر(١) (ت١٩٢٠م): "يمكن أن نسمي علاقات الناس بالقوى فوق طبيعية، والتي يعبر عنها بالصلاة والتضحية والتبجيل طقسًا وديانة"(٢).

إذن علاقة الناس بالله وارتباطهم به وفق نظام العبادات هو معنى الطقس والدين عند أبرز علماء الاجتماع الغربيين.

وجاء في قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفولكور أن أصل مادة (Rite) هي: (العادات). وذكر القاموس قول عالم اللسانيات والأنثروبولوجيا سابير(٣) (ت١٩٣٩م): أن هذه الكلمة تدل "على مجموع الأنماط السلوكية التي يحملها التراث وتعيش في الجماعة"(٤)، وذكر أن "هناك مفهومين يحتلان مكان الصدارة بين تعريفات العادة؛ وهما: الامتثال الجماعي المعياري على نحو أو آخر،

---

(١) عالم ألماني ولد سنة ١٨٦٤م، ويُعد من أهم مفكري القرن العشرين وأحد أكثر علماء الاجتماع تأثيرًا في العالم، من أشهر مؤلفاته: الأخلاق البروتستانتية، وكتاب الاقتصاد والمجتمع، انظر: ص ٢٤٣وما بعدها خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيا (المنظّرون المؤسّسون).

(٢) Weber.M, Economie et Societe, Pion, 1995, Tom 2, P 172

(٣) إدوارد سابير ولد بألمانيا سنة ١٨٨٤م، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهو عالم لسانيّات وإنثروبولوجي، و له تأثيره الأقوى على علم اللسانيّات في الولايات المتّحدة، من مؤلّفاته: أنثروبولوجيا وثقافة، وكتاب اللغة مدخل لدراسة الكلام، انظر: ص٥٣٩-٥٤٠ معجم الأثنولوجيا والأنتروبولوجيا.

(٤) ص ٢٤٧ قاموس مصطلحات الأنثولوجيا والفلكور.

والتراث التاريخي"[١].

وجاء في المعجم الفلسفي لمراد وهبة أن مصطلح (Rite): "يدل على أسلوب العبادة والجنائز والمواليد"[٢].

وجاء في موسوعة علم الاجتماع أن ترجمة (Ritual) هو: (الشعيرة أو الشعائري)، وأن الشعيرة هي: "نمط متكرر في الغالب من السلوك، يتم أداؤه في مواقيت مناسبة، وقد يتضمن استخدام رموز. ويعتبر الدين واحدًا من الميادين الاجتماعية الرئيسة التي يتم فيها ممارسة الشعائر، وإن كان نطاق الشعائر قد يمتد إلى جوانب علمانية ودنيوية في الحياة اليومية أيضًا"[٣].

فالطقوس إذن تأتي بمعنى العبادات والعادات والشعائر أيضًا، ومن خصائصها وسماتها الرغبة في الاتصال بالمقدس عبر الصلاة والدعاء والذكر وغيرها من الأعمال، وأنها تحافظ على انضباط حياة الناس وانتظامهم في جماعة واحدة.

ويذهب الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون إلى أن المؤمن المتعصب لو "نفي إلى بادية ليس فيها ما يذكّره بدينه لضعف إيمانه بسرعة، فالذي يجعل الزهاد والمبشرين حافظين لإيمانهم هو كونهم يتلون كتب الدين كل يوم، ويقضون أوقاتهم بالصلاة والتسبيح، والذين أوجبوا القساوسة أن يتلو كل نهار كتاب الفرض الكنسي هم من الواقفين على أحوال النفس وتأثير التلقين

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) ص٣٩٥ المعجم الفلسفي.

(٣) (٢/ ٧٣٤-٧٤٣٥) موسوعة علم الاجتماع.

والتكرار فيها"[١].

ويهدف التقرير السابق إلى بيان ما للطقوس التي يلقنها رجال الدين للناس من دور مركزي ومباشر في استمرار بقاء المعتقدات في أثناء تلقينهم للناس أمور الدين، وتذكيرهم بضرورة ممارسة العبادات، وهذا الدور مهم جدًّا للمحافظة على الأديان وضمان استمرارها.

ويبين غوستاف لوبون أيضًا أن المعتقدات تثبت: "بتأثير العدوى النفسية والتلقين المكرر، ومن مقومات هذين الركنين نعد الصور والتماثيل والحج والطقوس والتراتيل والموسيقى والوعظ والإرشاد.. إلخ"[٢].

إن صلة الطقس بالمعتقد تكون إذن من نوع الدعم والمساندة وأن كلًّا منهما تمدّ الأخرى بالقوة والثبات والاستمرار.

ويقول عبد الجواد ياسين[٣] في شرح العلاقة بين هذين العنصرين: "فإذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس حالة فعل من شأنها إحداث رابطة. وإذا كان

---

(١) ص ٢٠٣ الآراء والمعتقدات.

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٣) هو كاتب مصري علماني، ولد سنة ١٩٥٤م، وتخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة١٩٧٦، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي تتركز حول نقد التراث الإسلامي، ونقد العقل الديني، وهي من ضمن المشاريع العربية لإعادة تأويل التراث الإسلامي؛ منها: (السلطة في الإسلام من جزأين)، و(الدين والتدين). راجع: حوار مع المستشار عبد الجواد ياسين "الدين أم التدين؟ التفكير من خارج الإطار"، حاوره: محمد الخراط، بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١٤م، على موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث).

المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات، فإن الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع ذلك العلم، إنه اقتحام على المقدس وفتح قنوات دائمة معه"[١].

ويقول عالم الاجتماع والأنثروبولوجي الفرنسي روجيه باستيد[٢] (ت ١٩٧٤م): "إن كل طقس ليس إلا تكرارًا لأسطورة الأصول"[٣].

فالطقوس في الفكر الغربي إذن هي ممارسات تعبدية تعبيرية عن المعتقدات والأديان والأصول، وهي اتصال بالإله المعبود الكامن خارج الطبيعة وفوقها، وينبغي فهمها ودراستها وفق الإطار المادي الذي يحركهم وينطلقون منه في تشكيل رؤاهم الفلسفية.

وقد حذا أدعياء الحداثة في الواقع العربي حذو مفكري الغرب في وجوب دراسة الإسلام بصفته ظاهرة دينية، وإجراء نفس عمليات التفكيك والحفر عليه، وباستخدام نفس الأدوات في تركيبته المكونة من العقائد الدينية والطقوس.

ويصرح الحداثيون بأن العقائد ونصوص الوحيين قد تعرضت لعمليات التحديث بشكل كبير جدًا -زعموا-، في حين أن الطقوس مع أهميتها وعلاقتها الوطيدة بالمعتقد الديني وشدة ارتباطها به لم تحظ بمثل هذا الاهتمام، فمن

---

(١) ص ٥٤ الدين والتدين.

(٢) شملت أعماله الأثنولوجيا الدينيّة، والطب النفسي الاجتماعي، وظواهر التثاقف. وقد تركّزت بحوثه على الظاهرة الدينيّة وخاصّة الطقوس، إذ انكبّ على تحليل الطقوس الدينيّة في باهيا، والديانات الإفريقيّة في البرازيل عامة. انظر: ص ٢٧٣ وما بعدها معجم الأثنولوجيا والأنتروبولوجيا.

(٣) Roger Bastide, Sociogie des mutations religieuses, p 157

الضروري إعادة قراءتها من جديد لتتماشى مع أفكار الحداثة العالمية اليوم.

ويبين ذلك الباحث محمد حمزة[١] صاحب كتاب (إسلام المجددين) في معرض حديثه عن ضرورة تحديث الطقوس الإسلامية، فيقول: "ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تبقى هذه الطقوس بمعزل عن المساءلة وإعادة النظر بدعوى عدم إخضاعها للاجتهاد الإنساني"[٢].

وإلى هذا المعنى يذهب طارق حجي[٣] في مقال له بعنوان: (الشعائر الإسلامية في الدراسات المعاصرة) فيصرّح قائلًا: "إن النظام الشعائري في الإسلام لا زال صاحب النصيب الأقل تمامًا في الدرس لو قارناه بمحاولات درس القرآن والسنة النبوية أو الفقه الإسلامي أو السياسة الإسلامية، سواء كان

(١) باحث حداثي تونسي، ويعمل محاضرًا بالجامعة التونسية، مختصّ في قضايا الفكر الإسلامي، له عديد من الكتب المنشورة، من بينها: (السنّة النبويّة: إشكاليّة التدوين والتشريع)، و(إسلام المجدّدين) وغيرمها. لمزيد من تعرف فكره راجع مقالًا بعنوان: (إسلام المجددين لمحمد حمزة مانيفست للتجديد في الإسلام) للكاتب: خالد غزال، بتاريخ: ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ص ٨١ إسلام المجددين.

(٣) كاتب صحفي ومفكر ليبرالي مصري، ولد عام ١٩٥٠م في مدينة بورسعيد، تخرج في كلية الحقوق بجامعة عين شمس، ثم حصل على الماجستير والدكتوراة من جامعة عين شمس وجامعة جينيف بسويسرا، وحصل على العديد من الأوسمة والجوائز، من أبرزها جائزة غرينزان كافور الإيطالية، وهى إحدى أهم الجوائز الأدبية في العالم، وجائزة Grinzane Cavour في الأدب عام ٢٠٠٨م، كما حصل على جائزة Grinzane إحدى أكبر الجوائز الأدبية في العالم، التي مُنحت لأربع شخصيات أدبية، حصل كل منهم بعد ذلك على جائزة نوبل في الأدب. راجع حوار مع طارق حجي، حاوره: فيصل خاجه، بتاريخ: ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

هذا داخل الكتابات الاستشراقية أو الكتابات العربية المعاصرة حداثية كانت أو تقليدية.

فهذه الكتابات لا تولي اهتمامًا مناسبًا، ولا تحاول فهم العلاقات التي تربطه بالنظام العقدي الإسلامي أو بنظامه السردي، وإذا حاولت فليس عبر المنهجيات الحديثة وإنما عبر منهجيات رثة اجتماعية وتاريخية"[١].

ويرى عبد الرحيم بوهاها[٢] في كتابه (طقوس العبور في الإسلام) أن السبب في عدم إجراء عمليات التحديث على الطقوس في الإسلام هو أن "المؤسسة الدينية ترفض أي محاولة لإعادة النظر في الطقوس لموقفها المبدئي المعارض لكل أشكال التغيير، واكتسب فقه العبادات قداسة تمنع من إعادة النظر فيه"[٣].

وذكرت رجاء سلامة[٤] أن دراستها للموت وطقوسه في مقدمة كتابها

---

(١) كتبه بتاريخ: ٢/ ٨/ ٢٠١٦م، موقع إضاءات على شبكة العنكبوتية.

(٢) باحث حداثي ومدرّس في الجامعة التونسيّة، نشر كتابًا بعنوان "الإسلام الحركي" عن دار الطليعة في بيروت، وذلك ضمن سلسلة "الإسلام واحدًا ومتعدّدًا" التي أشرف عليها عبد المجيد الشرفي، ولمزيد من التعريف به وبكتابه راجع مقالًا بعنوان: (تقديم كتاب عبد الرحيم بوهاها طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة)، للكاتب: بسام الجمل، بتاريخ: ١٦/ ٩/ ٢٠١٣م، موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) على الشبكة العنكبوتية..

(٣) ص ٣٨-٣٩ طقوس العبور في الإسلام.

(٤) رجاء بنت سلامة باحثة وكاتبة حداثية تونسية، ولدت سنة ١٩٦٨م، وحصلت على شهادة دكتوراة الدولة في اللغة والآداب والحضارة العربية بأطروحة عنوانها: (العشق والكتابة: قراءة في الموروث)، بتونس، وهي أحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العقلانيين العرب، ولجمعية (بيان الحريات بفرنسا)، وللجمعية الثقافية التونسية للدفاع عن اللائكية. وهي حاليًا محللة =

(الموت وطقوسه من خلال الصحيحين البخاري ومسلم) = مختلفة عن الكم الهائل من الكتب الصفراء، والتي تتحدث عن عذاب القبر وأشراط الساعة وأهوال يوم القيامة والعوالم الأخروية..؛ لأن هذه الكتب عندما تعرض هذه الأحداث تعرضها (محوّلة الأفراد والجماعات إلى كائنات تحمل وجهين مترابطين: فهي ذوات مرتعشة متشككة خائفة من النجاسة أو الحرام، أو فقدان الإيمان، وهي آلات صماء لا تني تؤدي الطقوس والشعائر، لتؤثث بها تشككها وقلقها وخوفها من النجاسة أو الحرام، أو فقدان الإيمان"(١).

إذن جاء الدور عند أدعياء الحداثة على تفكيك الطقوس الإسلامية لتقويضها وزحزحة قداستها من خلال علوم الإنسان الحديثة، وهو ما سنلقي الضوء عليه في المباحث الآتية.

المبحث الثاني

وظائف الطقوس في الخطاب الحداثي

يعمد الخطاب الحداثي إلى تسطيح أهمية العبادات في الإسلام، ويغيب دورها الحقيقي في تزكية النفوس وتهذيبها، ويطمس جمالها ويخفي مواطن حسنها وبهائها بطريقة ساذجة وفجّة، ويعتبرها مجرد ممارسات طقوسية تقوم بوظائف وأدوار لتثبيت المعتقدات ولاستبقاء الأديان حية في نفوس معتنقيها،

=

نفسية، كما تعمل رئيسة تحرير لمجلة الأوان. ولمزيد من التعريف بها وبفكرها راجع مقالًا بعنوان: رجاء سلامة بين مقاومة القمع والتهديد بالقتل، للكاتب: عبد الدائم السلامي، بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٥م، جريدة الحياة.

(١) ص ٩-١٠ الموت وطقوسه.

ويغض الطرف عن مواطن الحسن والكمال والجمال التي احتوتها، فالعبادات في الإسلام -من وجهة نظر أدعياء الحداثة- ليست مبنية على حِكم وعلل، وليس لها دور في إصلاح البشرية وانتشالهم من الإغراق في وحل هذا الوجود المادي الضيق للارتقاء بها إلى فسحة وسعة الاتصال بإلههم الحق تبارك وتعالى عبر سلم العبودية.

والعبادات في نظر هؤلاء الحداثيين ليست معقولة أصلًا، كما يقول محمد عابد الجابري(١): "فليست العبادات في أي دين في متناول العقل. وما يميز العبادات أنها من المنقول لا من المعقول"(٢). فإذا كانت ليست معقولة فمن السهل إذًا تجاوزها والقفز عنها كما يحلو لهم.

والناظر في كتابات هؤلاء القوم يجد أن وظائف الطقوس تختزل في ثلاثة أدوار رئيسة؛ وهي: الوظيفة الرمزية، والوظيفة الاجتماعية، والوظيفة النفسية، وسنوضح في هذا المبحث كل دور من هذه الأدوار من خلال أقوال هؤلاء الحداثيين وكتاباتهم.

١-**الوظيفة الرمزية:** ويعنون بها طبيعة علاقة الإنسان بالآلهة، فالطقوس هي: "مجموعة من الحركات تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية، وتهدف إلى

---

(١) مفكر حداثي مغربي، عمل أستاذًا للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، ويعد من أشهر المفكرين العرب، وكتب العديد من الأبحاث، وأبرزها رباعيته في نقد العقل العربي التي عقدت من أجل مناقشتها المؤتمرات والندوات. انظر: ص١٦٢ أعلام الفكر العربي.

(٢) ص ١١٤ فهم القرآن الحكيم، القسم الثالث.

عقد صلة مع العوالم المقدسة"(١)؛ لاستجداء المعونة منها وطلب التواصل معها، "وتعتبر الشعائر حمّالة شبكة من الرموز"(٢). إذ الهدف منها كما تقول آمال قرامي(٣): "يكمن في الخلاص الأبدي في الدار الآخرة لكلّ مؤمن، إذ ينظر إلى الفرائض الدينية على أنها وسيلة لنيل النجاة الأبدية، وتحقيق الخلاص المنشود. فالمؤمن يجسّد من خلال التكرار الشعائري اليومي المنظومة القيمية المحورية التي تضمنها النّص القرآني، كما أنه يحاول أن يسترجع الخطاب النبوي الخاص بالفرائض؛ أي أنه يقوم بعملية تمثّل لما يعتقد أن الرسول كان يقوم به من حركات وإشارات وطقوس قولية. وهكذا تفضي ممارسة الطقوس والشعائر الدينية إلى وصل المؤمن بالشخصية المركزية محمد وبزمن الدعوة، كما أنها تطبع جسده بطابعها المميز"(٤). وهذا مما لا ترتضيه أستاذة الحضارة الإسلامية؛ لأنه لا يتناسب مع حداثتها العالمية، ولا يتماشى مع كلام أساتذة علم الاجتماع الغربي الذين تأخذ عنهم، ومن أبرزهم دوركهايم، فقد عبر عن هذه الوظيفة الرمزية للطقوس بقوله: "جميع تجليات الظاهرة الدينية -مهما اختلفت وتعددت- تعود في جوهرها إلى حالة نفسية واحدة، وتقوم بمهمة ثابتة، هي الارتقاء بالإنسان إلى

---

(١) ص ١٢٩ الأسطورة والمعنى.

(٢) ص ٥٣ الإسلام الآسيوي.

(٣) أستاذة بالجامعة التونسية، أنجزت أطروحتين تحت إشراف عبد المجيد الشرفي؛ الأطروحة الأولى لنيل شهادة التعمّق في البحث، تحت عنوان: قضية الردّة في الفكر الإسلامي، والأطروحة الثانية لنيل دكتوراة الدولة تحت عنوان: الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية. لمزيد من التعريف بها راجع حوارًا أجرته معها قناة العربية بتاريخ: ٧/ ٥/ ١٤٣٨هـ، برنامج (منارات) على موقع القناة على الشبكة العنكبوتية.

(٤) ص ٥٢-٥٣ الإسلام الآسيوي.

عالم علوي فوق عالمه الذي ينتمي إليه، وجعله يعيش حياة أرفع من حياته الاعتيادية"(١).

ويقول المستشرق الفرنسي كازنوفا (ت ١٩٢٦ م): "إن الإنسان يلجأ إلى الطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليتقي الدنس أو يتخلص منه. إن المحرمات، التطهيرات، طقوس العبور، هي ردود فعل دفاعية ضد هذه التهديدات"(٢).

وتطبق هذه المفاهيم الغربية -للأسف الشديد- على تفاصيل العبادات في الإسلام بتسطيح بالغ، ودون اعتبار لصدق مرجعيتها الدينية، وأنها عبادات منزلة من عند الله تعالى، يفعلها المؤمن ويقوم بها لنيل رضوان الله، وللحصول على السعادة في الدنيا والآخرة.

وعلى سبيل المثال سنذكر هنا بعضًا من تلك النماذج في تعامل هؤلاء الحداثيين مع بعض هذه العبادات، كقضية الطهارة والغسل في الإسلام، فنجد أنهم يستحضرون هذه المعاني الفلسفية مباشرة، ويستنجدون بها في كتاباتهم التحديثية للإسلام، فنجد أن صاحب كتاب (طقوس العبور في الإسلام) عندما يتحدث عن شعيرة الغسل في الإسلام مثلًا يراها: "تخليصًا للروح مما يتعلّق بها من ثوابت المادة، وتأهيلًا لها لملاقاة الله إلى الدخول إلى الفضاء المقدس ومباشرة العبادة ومحاورة الإله"(٣). ويغفل عن أن الغسل هو ارتداء لوسام الإيمان كما في الحديث: (الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)(٤)، وهو أمر يحبه الله تعالى

(١) ص٣٣ الأشكال الأولية للحياة الدينية.

(٢) Cazeneuve, Sociologie du rite, p143.

(٣) ص ٣٠٠ طقوس العبور في الإسلام.

(٤) رواه مسلم في كتاب الطهارة برقم: (٢٢٣).

ويريده منا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويقول صاحب هذا الكتاب أيضًا في شعيرة الذبح في الإسلام كالأضحية والعقيقة: إنها هي "والولائم بأنواعها، تستجيب للمبدأ العام من حيث إنها قرابين تقدم إلى الله؛ تقربًا إليه وشكرًا على نعمه، وطلبًا للمباركة والعناية منه...، ويرجع احتفاظ الإسلام بطقس القربان إلى أهميته في الفكر الديني عمومًا، والْتصاقِه في الذهن البشري بمفهوم التدين والعبادة. فالأسطورة(١) الإسلامية تروي حادثتَي تضحية أوّليّتين حدثتا مع قابيل وهابيل، إحداهما نباتية وأخرى حيوانية. إضافة إلى حادثة القربان البشري مع إبراهيم وابنه الذبيح. مما يؤكد تأصل هذه الظاهرة في التاريخ البشري وتطورها تاريخيًا، واستقرارها في شكلها النهائي أضحية حيوانية ذات وظيفة مزدوجة: استغفارية واستعطافية في آن"(٢).

وعلى هذا الطرح الحداثي نجد أن الذبح هو مجرد استعطاف للإله وطلب مغفرته واستلهام القوة منه، وهي وظيفة رمزية بحتة لهذا الطقس في الإسلام، مأخوذة من الأساطير القديمة، ولا صحة لها من الأساس، ولا قيمة موضوعية لها أصلًا.

٢-**الوظيفة الاجتماعية:** ويقصد بهذه الوظيفة أن الطقوس تتسم بتنظيم

---

(١) إن منشأ الدين في الفكر الحديث هو الإحساس بوجود عالم ما ورائي، ويعبر الإنسان عن هذا الإحساس بالطقوس والأساطير. انظر: ص ١٤٥ الأسطورة والمعنى. ويقول مؤرخ الأديان مرسيا إلياد: "تمثل الأسطورة أو الحكاية المقدسة مجالًا رمزيًا لتجلي المقدس، ففبفضلها يتم الحكي عن الكيفيات الأولى التي أتت بها الموجودات إلى الوجود". Eliade.m, Aspects du mythe, Gallimard, 1963, p 16.

(٢) ص ٣٠٥ طقوس العبور في الاسلام.

المجتمع وتقوم بدور فاعل في ضبط أفراده والمساهمة في تعايش الإنسان واندماجه في جماعة دينية معينة، وأن لهذه الطقوس قدرة على القيام بمهمة الالتحام بين أفراد المجتمع واستقراره وتحديد هويته.

ويعبّر صاحب كتاب (الاجتماع الديني) عن هذا المعنى بقوله: "الدين هو مجموعة من العقائد والطقوس التي تنظم حياة الإنسان الاجتماعية، بحيث يعتقد أن مصدرها مقدس. وهو عقيدة وعمل يشترك في اعتقادها ومزاولتها مجموعة من الأفراد يكون منهم مجتمع خاص مستقر ودائم"(١).

ويشرح هذا المعنى بمزيد تفصيل عبد الجواد ياسين في كتابه (الدين والتدين) فيقول في المعتقد إنه: "شأن جمعي لأكثر من سبب؛ أولًا: من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، وثانيًا: أن دوام واستمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد به، وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه. ومن هنا نفهم لماذا يسعى عدد كبير من مؤسسي الأديان وأصحاب الفلسفات الكبرى إلى التبشير بأفكارهم بين الناس وحثهم على اعتناقها؛ ذلك أنهم يجدون في هذا السعي ضمانتهم الوحيدة لحياة معتقداتهم واستمرارها"(٢).

وهذا المعنى الاجتماعي يستحضره الخطاب الحداثي في تعامله مع الإسلام، فيقول صاحب كتاب (طقوس العبور في الإسلام): "فالمجتمعات التقليدية تبني ثقافتها وقيمها على أساس ديني، فيصبح الدين المصدر الأساسي

---

(١) ص ٨٣ الاجتماع الديني ومفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية.

(٢) ص ٤٨-٤٩ الدين والتدين.

الذي يمدّ المجتمع بمبادئه وقيمه ومواقفه من العالم والإنسان والأشياء والكون"(١). فالمحافظة على المظهر الخارجي للتدين في المجتمع الإسلامي "كما تجّسمه الطقوس، محافظة على الثقافة الدينية ذاتها، وتكون مواجهة الانحرافات الطقوسية، صدًّا للانحرافات القيمية والأخلاقية، ومنعًا عن مظاهر الانزياح عن الخصوصية الدينية. بهذا الشكل تصبح الطقوس ضامنة لصمود الدين وفعله في المجتمع، وتتولى بذلك مهمّة الرقابة الاجتماعية على السلوك والفعل وحماية الأخلاق الدينية من أجل ضمان وحدة المجتمع وبقائه"(٢).

وتضرب آمال قرامي مثالًا على هذا الدور الاجتماعي من خلال حديثها عن صلاة الاستسقاء قائلة: "إن معنى الطقس لا يكمن في نجاعته بقدر ما يكون في الإشباع الذي يحققه. فصلاة الاستسقاء مثلًا قد لا تجلب المطر لكنها تحدث لحمة بين الجموع المحتشدة وتوحد مشاعرهم في لحظة مخصوصة"(٣). فهي ليست –في نظرهم– سببًا ولا وسيلة مشروعة للحصول على المطر، يخرج فيها المؤمنون متواضعين مبتذلين متذللين خاشعين لخالقهم وبارئهم، ولا سنة مؤكدة فعلها النبي ﷺ وأمر بها إذا تأخر نزول المطر، إنما هي مجرد احتشاد لأجساد ومشاعر المؤمنين في وقت مخصوص!.

وعندما يتحدث أركون(٤) عن أركان الإسلام كالصلاة والزكاة يقول إنهما:

---

(١) ص ٣١١ طقوس العبور في الإسلام.

(٢) ص ٣١١-٣١٢ المرجع السابق.

(٣) ص ١٢٩ الإسلام الآسيوي.

(٤) مفكر حداثي جزائري صاحب مشروع نقد العقل الإسلامي، شغل كرسي تاريخ الفكر الإسلامي بجامعة السوربون ومديرًا لمعهد الدراسات العربية والإسلامية بها لسنوات =

"عملان يقدمهما القرآن على أساس أنهما محض دينين. ولكن لا يغيب عن أنظارنا أن لهما وظيفة حاسمة من حيث الدمج الاجتماعي والسياسي للفرد. فعندما يصلي الفرد علنيًّا وراء النبي أو مع مجموعة من المسلمين، أو عندما يدفع ضريبة تغير اسمها لكي تصبح صدقة أو زكاة بدلًا من مَغْرم، فإن عمله هذا يكتسب أهمية دينية في الوقت الذي يؤدي فيه الوظيفة الاجتماعية السياسة نفسها. إن ذلك يعني كسر العصبيات أو التضامنيات التقليدية، والتخلّي عن الآباء والزوجات والأطفال، من أجل الانضمام إلى الجماعة الجديدة"(١)، فحفاظًا على لحمة المجتمع وللأهمية السياسية في المحافظة على المجتمع المسلم التقليدي جرى العمل بأركان الإسلام من صلاة وزكاة وغيرهما كما يرى أركون!!

بل يذهب صاحب كتاب (الإسلام السني) إلى مساهمة فقهاء الإسلام في تجسيد هذا الدور الاجتماعي للطقس، وهو ما حدث مع: "سائر العبادات من طهارة وزكاة وصوم وحج، فقد استغل الفقهاء إشارة القرآن إليها ليبنوا منظومة فقهية في العبادات، لا تستجيب لمقاصد الرسالة بقدر ما تعكس حدود تفكيرهم وصورة مشاغلهم الاجتماعية في سياقات تاريخية معينة"(٢).

فالفقهاء -في زعمه- هم من شرعوا للناس هذه العبادات بكل تفاصيلها،

= عديدة، وعمل أستاذًا زائرًا في العديد من العواصم الأوربية والأمريكية، وجلّ مؤلفاته باللغة الفرنسية، وترجم البعض منها إلى العربية وإلى لغات أخرى، توفي سنة ٢٠١٠م. انظر: ص١٣٩ أعلام الفكر العربي.

(١) ص ٦٧ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) ص١٠٨-١٠٩ الإسلام السني.

وضمّنوها في منظومتهم الفقهية، وقدموها على أنها من عند الله، وهي ليست كذلك.

٣-**الوظيفة النفسية**: يرى أصحاب الخطاب الحداثي أن ممارسة العبادات في الإسلام هي قضية نفسية، واستجابة لدوافع نفسية وللرغبات الداخلية؛ لأن فرويد[١] أصَّل لهذه الفكرة عند قوله: "إن الأصل الذي تنبع منه الأفكار الدينية هو ضرورة الدفاع عن النفس ضدّ تفوّق الطبيعة الساحقة"[٢]. فممارسة العبادات هي مجرد ردود أفعال بشرية تهدف إلى حماية النفس وطمأنتها لإسكات القلق الوجودي الداخلي.

وإلى هذا المعنى يذهب عالم النفس كارل غوستاف يونغ[٣] (ت١٩٦١م) عندما يتحدث عن الوظيفة النفسية للطقوس في كتابه (الدين في ضوء علم النفس)، فيقول: "إذا جاءني مريض كاثوليكي، نصحت له بالاعتراف والمناولة لكي يدافع عن نفسه من غائلة الخبرة المباشرة، أما إذا جاءني مريض بروتستانتي فما كانت النصيحة مفيدة له؛ لأن العقيدة والطقوس غدت في البروتستانتية باهتة وخافتة، حتى لقد فقدت تأثيرها إلى حد كبير. يضاف إلى ذلك أن الكاهن البروتستانتي قد خضع لتدريب علمي في معاهد لاهوتية قضت على براءة الإيمان"[٤].

---

(١) سيغموند فرويد هو طبيب أعصاب ملحد ولد بالنمسا سنة ١٨٥٦م، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي، من أهم مؤلفاته: الطوطم والتابو، وكتاب مُستقبلُ وهم، توفي سنة ١٩٣٩م. انظر: ص ٢٣٥ وما بعدها خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظّرون المؤسّسون).

(٢) ص ٢١ وما بعدها مُستقبلُ وهم.

(٣) عالم سويسري ولد سنة ١٨٧٥م ويُعد مؤسس علم النفس التحليلي، أهم مؤلفاته: كتاب (الأنماط النفسية)، وكتاب (رموز الروح)، انظر: ص١٥ وما بعدها علم النفس التحليلي.

(٤) C.G. Jung,Psycology and Religion (in The Collecled Works), p 44.

كما أن عالم الاجتماع النفسي إريك فروم[١] (ت١٩٨٠م) أشار إلى هذا الدور السيكولوجي الذي تقوم به هذه الممارسة الدينية -في زعمهم- قائلًا: إنها "تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر التي تظهر عن طريق السلوك. ومهما تكن الأسباب، دينية أم اجتماعية، فهناك أسباب أخرى لا واعية تتداخل معها. وعلى سبيل المثال ينتقي البعض بعض الشعائر والطقوس ويحيطها بهالة من الاحترام والتقديس أكثر من غيرها، تساعدهم في الوقوف أمام الغزو الثقافي الغربي، الذي دخل مع الاستعمار إلى البلدان الأفريقية والآسيوية"[٢].

وتقول آمال قرامي: "إن قيمة الطقوس مرتبطة في الواقع بمدى قدرتها على سدّ حاجات المرء الأساسية مثل حاجته إلى تحرير النفس من إكراهات الواقع اليومي، ورغبته في التخفيف من حدّة الاضطرابات النفسية التي يعانيها ورغبته في السكينة"[٣].

فالطقوس هي "المرحلة النهائية لعملية إزالة الشعور بالذنب، الطويلة والمعقدة. فالناس يصرفون فيها انفعالاتهم لأنهم يتقربون فيها من المقدس الذي يكتسب منه المؤمن التكفير عن الخطايا"[٤].

ومن التطبيقات العملية للحداثيين على العبادات في الإسلام نجد أن الكاتب

---

(١) عالم اجتماعي شهير ولد سنة ١٩٠٠م، وكان تلميذًا مباشرًا لألفريد فيبر عالم الاجتماع الألماني المعروف، من أهم مؤلفاته: التحليل النفسي والدين، اللغة المنسيّة: مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير، انظر: ص٥ وما بعدها الإنسان المستلب وآفاق تحرره.

(٢) Erick Fromm, Psychoanalyse et religion, Paris, 1968, P 138

(٣) ص ١٢٩-١٣٠ الإسلام الآسيوي.

(٤) ص١٧٧ في إشكالية المقدس.

والباحث التونسي بسام الجمل[١] صاحب كتاب: (ليلة القدر في المتخيل الإسلامي) يتحدث عن ممارسة المؤمنين للعبادة في هذه الليلة المباركة قائلًا: "إن المسلمين في تعلّقهم بليلة القدر يعبّرون عن رغبة دفينة في الإنسان عامة، وهي إرادة التخلّص من المنزلة الوجودية المعطاة عبر بناء عالم الآلهة والصعود إليه والاتصال به من ناحية، ومحاولاته المتجددة في كل عصر ومصر ودين لقهر حقيقة الموت من ناحية أخرى"[٢]. فليست هي ليلة من أعظم ليالي السنة، ولا العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر، وليست هي ليلة نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]، وعلى هذا فلا يجب علينا فيها شكر ربنا وحمده على ما وهبنا فيها وتمنن علينا بها من فضل ونعمة بنزول هذا الكتاب العزيز الكريم.

بل إن العبادة في هذه الليلة في هذا الخطاب الحداثي البائس هي مجرد قضية نفسية عمل بها المسلمون وأنشأها لهم علماؤهم، فيقول هذا الكاتب: "غير أننا نرى أنّ ليلة القدر ليس لها وجود إلا في الذهنية الإسلامية. وبعبارة أخرى: إن

---

(١) باحث وكاتب تونسي حاصل على الدكتوراة في الآداب واللغة العربيّة من جامعة منوبة، يشغل أستاذًا مساعدًا بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس. له مجموعة من الأعمال المنشورة من بينها: كتاب (أسباب النزول) الذي صدر عن المركز الثقافي العربي بالشراكة مع مؤسسة مؤمنون بلا حدود في طبعته الثانية ٢٠١٣. وكتاب (الإسلام السنّيّ) الذي صدر عن دار الطليعة ورابطة العقلانيّين العرب، بيروت، ٢٠٠٦، وكتاب (ليلة القدر في المتخيّل الإسلاميّ)، ويشرف بسام الجمل على التحكيم العلمي لبحوث قسم الموروث الديني بمؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، انظر: ص١٧٦ ليلة القدر في المتخيل الإسلامي.

(٢) ص ١٥١ ليلة القدر في المتخيل الإسلامي.

كان لليلة القدر من حقيقة فهي بالتأكيد حقيقة نفسية جمعيّة يتوارثها جيل بعد جيل. وهي قابلة لشتّى ضروب التغيّر في أشكالها والتوسّع في مداها، وذلك بفعل ما يمكن أن يتدرج في هذا الغرض من أخبار ينشئها العلماء المسلمون بدءًا، وتتغذى منها هذه الذهنية منتهى"[1]، فيمكن النظر لها بفهم آخر جديد يتوافق مع أفكار الحداثة العالمية اليوم.

هكذا يتعامل الخطاب الحداثي مع العبادات في الإسلام، فهي عبارة عن طقوس تؤدي وظائف متعددة رمزية واجتماعية ونفسية، وليست من الحقائق في شيء، وليست منزلة من عند الله تعالى، إنما هي موروث تقليدي ساهم في إنتاجه الفقهاء وعلماء الإسلام، وتشكل وفق رؤاهم ليحكموا زمام السيطرة على المجتمعات.

المبحث الثالث

تطبيقات عملية على العبادات في الإسلام

يقسم الخطاب الحداثي العبادات في الإسلام إلى مستويات، فمنها ممارسات وطقوس يومية كالوضوء والصلاة، ومنها ممارسات وطقوس موسمية كالحج والصيام والأعياد الإسلامية، ومنها ممارسات وطقوس ترتبط بأحداث ومناسبات معينة تتعلق بحياة الإنسان ووفاته، ويُعبر عنها بطقوس العبور[2]،

---

(١) ص ١٥٠ المرجع السابق.

(٢) "طقوس العبور" هي ترجمة للمصطلح الفرنسي "Rites de passage" الذي استعمله أوّل مرّة عالم الاجتماع الفرنسي أرنولد فان قيني في كتاب له صدر سنة ١٩٠٩م بعنوان (طقوس العبور). وفيه بيّن أنّ طقوس العبور ثلاثة أضرب؛ هي: طقوس التجميع، (مثل الزواج) وطقوس الانفصال، (مثل الموت) والطقوس الهامشيّة، (مثل الحمل والخطوبة، انظر: =

كوليمة الزواج، أو العقيقة للمولود، أو الصلاة على الميت ودفنه وتكفينه.

وفي هذا المبحث سنقف على بعض الأمثلة لهذه الكتابات التحديثية العبثية التي تطبق على العبادات في الإسلام؛ ليتصور القارئ كيف يكون التعامل الحداثي مع العبادات في الإسلام، وكيف تقرأ العبادات في هذا الخطاب الحداثي المضلل.

المثال الأول (الصلاة): التي تُعد الركن الثاني من أركان الإسلام، وتأتي بعد الشهادتين في الأهمية والمركزية الإسلامية، وأي محاولة تشكيكية في فرضيتها هي قضاء على جوهر الإسلام وأسّه، تُقرأ هذه الفريضة المعلومة من الدين بالضرورة على أنها مجرد طقس فُرض في حادثة الإسراء والمعارج التي هي حادثة أسطورية، ليست جديرة بأي ثقة أصلًا[١].

يقول عبد المجيد الشرفي[٢]: إن الصلاة "تبقى الصيغة المثلى لصنفين من المسلمين: من يعتقد بوجوبها على نحو ما رسخته السنة الثقافية، ومن تسمح له ظروفه بأدائها بالطريقة المعهودة، إلا أن أصنافًا أخرى من الناس ممن أعرضوا عن الصلاة أو يعيشون تمزقًا بين الواقع والمنشود، ألا يحق لها أن تكون وفيّة لما يأمرها به دينها من دون الالتزام بما قرره السلف في هذا الشأن بكل تفاصيله"[٣].

=

ص٣٣- ٣٤طقوس العبور في الإسلام.

(١) انظر ص ٦٢ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

(٢) مفكر تونسي ولد سنة ١٩٤٢م، وهو العميد السابق لكلية الآداب بالجامعة التونسية، وأستاذ كرسي الحضارة العربية والإسلامية ومقارنة الأديان بها، كما أن الشرفي يعدّ مشرفًا إداريًا على سلسلة (معالم الحداثة). انظر: ص ١٠٤-١٠٨ أعلام الفكر العربي.

(٣) ص٦٣ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

فالصلاة -في نظره- ليست واجبة ولا منزلة من عند الله، ومن يريد أداءها معتقدًا وجوبها فله ذلك، وهو يفترض في حديثه هنا أنه يوجد أصناف أعرضوا عنها ولا بأس بإسقاطها عنهم؛ لكي لا يشعروا بالنقص أو الدونية أمام العالم المادي الغربي اليوم.

ويمكن هنا للقارئ الكريم أن يلاحظ البون الشاسع بين النظرة الإسلامية للعبادات وأنها تكليف من رب العالمين يجب على المسلم التسليم له تسليمًا يقتضي اعتقاد وجوبها على كل من انطبقت عليه شروط وجوبها، وبذل الوسع في أدائها وفق شروطها التي وضعها الله لها = وبين ما يجنح إليه الطرح الحداثي من معالجة تسطيحية للعبادات (الطقوس) -في تسميته- تختزلها في مسألة الضمير، فيجعل غاية العبادات وهدفها الذي يسعى إليه هو راحة الضمير.

وعلى هذا فلا مانع في ظل هذا التصور من التعدي على صورة هذه العبادة وتفاصيلها لتناسب شريحة من البشر، وهل يوجد أضل ممن ينازع الله في الأمر والحكم؟ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويمتدح صاحب كتاب (إسلام المجددين) طريقة الشرفي هذه في التعامل مع العبادات في الإسلام قائلًا: "إن الدعوة إلى التجديد في مجال تطبيق الطقوس الإسلامية محاولة واعية وجريئة من هذا المفكر، للخروج من حالة النفاق التي تسود المجال العمومي، وهي دعوة كذلك كي لا تنزاح العبادات عن جوهرها الحقيقي بالخصوص، وهي تلك العلاقة المتفردة التي تربط المؤمن بالله، والتي

تكلّست بفعل عوامل شتى نفسية وحضارية"[١]، فيكفي إذن من المؤمن فكرة الارتباط بالله دون حاجة إلى مثل هذه الطقوس والشعائر.

ويرى بسام الجمل تلميذ الشرفي أن الحادثة التي فُرضت فيها الصلاة أشبه: "بالقصة الفنية التبريرية، أشبه منه بالحقيقة التاريخية. وما اختلاف المذاهب السنية في ضبط جزئيات الركوع وكيفيات القيام وهيئات السجود إلا نتيجة الآثار المتضاربة المنسوبة إلى الرسول في باب الصلاة"[٢]، ويقول أيضًا: "إن طريقة أداء الصلاة وأحكامها على النحو الذي قرّره الفقهاء تمثل اختيارًا معينًا -من جملة اختيارات أخرى ممكنة- عملوا على فرضه وإلزام المؤمنين به؛ لأنه معبّر عندهم عن مراد الله، ولأن الحاجة إلى توحيد الطقوس وأنماط التعبد من شروط الحفاظ على وحدة الجسم الاجتماعي في ظرف كان يُحترز فيه من الاختلاف والتنوع أشد الاحتراز"[٣]، فقضية أداء الصلاة -في نظره- ما هي إلا تعبير عن حاجة الفقهاء إلى بناء المجتمع المسلم والمحافظة على استمراره وضمان وحدته.

ويقرر أركون في هذا المقام أيضًا أنه: "ليس من الضروري أن يحتشد الناس جماعات لإقامة الصلاة، إن الصلاة مسألة شخصية في الإسلام، كما في الديانات التوحيدية الأخرى، كل الداء يأتي من الخلط الذي وقع لأسباب تاريخية بين الاستعمال السياسي للدين والفضاء الشخصي للمتدين"[٤].

---

(١) ص٨١ إسلام المجددين.

(٢) ص١٠٦-١٠٧ الإسلام السني.

(٣) ص١٠٧ المرجع السابق.

(٤) ص ٨٥ مجلة الهدى المغربية، سبتمبر ١٩٨٦م، ضمن حوار أجرته معه المجلة الفرنسية الأسبوعية: لونوفيل أبسترفاتور (عدد: ٧، فبراير ١٩٨٦م).

ويلاحظ القارئ الكريم في النصوص السابقة نوعًا متكرّرًا بكثرة في محاولات الحداثيين لتحييد النصوص الشرعية، والتفلت من مقتضياتها، وذلك من خلال توظيف التحليل الاجتماعي والسياسي للنصوص، وصولًا إلى الزعم بأن تلك الأحكام مرتبطة بالظرف السياسي والاجتماعي، الذي استفاد منه الفقهاء في تدعيم السلطة السياسية، ومثل هذا التحليل متكرر بكثرة في الخطاب الحداثي.

والحق أن للعبادات الشرعية حِكمًا اجتماعية وصحية وجسدية لا شك فيها، لكن جعل هذه الحِكم هي علة العبادة بحيث يزول حكمها بزوال العلة، هو تفريغ للعبادات (الطقوس في زعمهم) من روحها، الذي هو التقرب والتعبد لله جل وعلا؛ فإن علاقة العبودية بين العبد وخالقه تستلزم التسليم له بأداء العبادات، سواء عُرِفَت حِكمتُها أم لم تُعرف.

وبالنسبة لقراءة سورة الفاتحة بداية كل ركعة في اليوم بحيث لا تقل قراءتها عن سبع عشرة مرة على الأقل في اليوم لا تُعجب أركون؛ لأنها -كما يعبر- بمثابة: "بروتوكول القراءة الطقسية أو الشعائرية، بالطبع فإن هذه القراءة هي وحدها الصالحة أو الصحيحة من وجهة نظر الوعي الإسلامي، فالمسلم إذ يكرر الكلمات المقدسة للفاتحة يُعيد تحيين أو تجسيد اللحظة التدشينية التي تلفظ أثناءها النبي بكلمات الفاتحة لأول مرة، وهذا يعني أنه يلتقي من جديد بالحالة العامة للخطاب الخاص بالمنطوقة الأولى. إنه يلتقي بالمواقف الشعائرية، والتواصل بالميثاق الذي يربطه بالله. كما ويستبطن كل التعاليم الموحى بها والمكثّفة في الآيات السبع لسورة الفاتحة. وهي آيات تشفع له عند الله يوم القيامة، وتنقذ روحه، آيات منفتحة على الدين كله. ولا يعود هناك أي معنى

للمسافة التاريخية الحقيقة التي تفصل شخصًا بربريًا يعيش في جبال الأطلس، أو شخصًا باكستانيًا، أو يوغسلافيًا....إلخ، عن النبي "[١].

فالصلاة ليست انضمام العبد -طوعًا لا كرهًا- وتسابقه عبر قافلة العابدين الراجين الخائفين إلى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٥-٧].

وللصادق النيهوم[٢] رؤية أخرى عجيبة وغريبة في فهم الصلاة، ولا أخفي على القارئ ترددي كثيرًا في نقلها؛ لشدة سخفها وسذاجتها، ورجحت نقلها وعرضها هنا ليكتمل تصور المشهد الهزلي للموقف الحداثي من الصلاة التي هي (عمود الدين)[٣]، فهو يذهب إلى أن الصلاة أسلوب فعال جدًا "يضمن

---

(١) ص١١٩-١٢٠ القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) ولد في مدينة بنغازي عام ١٩٣٧، درس جميع مراحل التعليم بها إلى أن انتقل إلى الجامعة الليبية، ومن ثم عُين معيدًا في كلية الآداب. أعدَّ أطروحة الدكتوراة في (الأديان المقارنة) بإشراف الدكتورة بنت الشاطئ في جامعة القاهرة، وانتقل بعدها إلى ألمانيا، وأتم أطروحته في جامعة ميونيخ بإشراف مجموعة من المستشرقين الألمان، درَّس مادة الأديان المقارنة بمسمى أستاذ مساعد بقسم الدراسات الشرقية بجامعة هلنسكي بفنلندا، وتوفي سنة ١٩٩٤م، من مؤلفاته: (إسلام ضد الإسلام)، (الإسلام في الأسر: من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة؟). لمزيد من التعريف به راجع: موقع وزارة الثقافة والمجتمع المدني الليبية على الشبكة العنكبوتية.

(٣) ورد في سؤال مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ؛ قالَ: (لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ
=

صحة الجسم والعقل، إلى مراحل متقدمة من العمر. وقد عرفه العرب في لغتهم الحديثة باسم (اليوغا)، لكن كلمة اليوغا نفسها معناها بالعربي: الصلاة"(١)، فالصلاة هي نوع من أنواع تنظيم التنفس ودقات القلب على حد تعبيره، ويعيب على الفقهاء بأنهم لم يكتشفوا ذلك قائلًا: "الفقه الإسلامي -الذي يسمي نفسه علمًا- لم يشهد طوال تاريخه تجربة علمية واحدة لاختبار علاقة الخشوع بطريقة التنفس، واستكشاف المعنى الكامن وراء حركات الصلاة، وهي تجربة كان من شأنها أن تقود المصلي المسلم إلى مواضع الكنز"(٢). ومعنى كلامه هنا أن كل علماء المسلمين وكل نتاجهم الفقهي لم يذكر هذا الفهم الجديد والمعنى الحداثي للصلاة، فجميعهم كانوا جاهلين وساذجين ومغفلين عن هذا المغزى والمعنى العميق للصلاة، إلى أن جاء الصادق النيهوم وكشف هذا المعنى لهم، وبيّن أن الصلاة هي مجرد ضبط للتنفس ونوع من أنواع رياضة اليوغا.

إن للصلاة ذوقًا ووجدًا وجمالًا يغيب عن أدعياء الحاثة كما قال الرسول ﷺ: (وجعلت قرَّة عيني في الصلاة)(٣) وقال: (قم يا بلال فأرحنا بالصلاة)(١)،

=

النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ) حَتَّى بَلَغَ: (يَعْمَلُونَ)، ثُمَّ قَالَ: (أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟)، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ؛ قَالَ: (رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ). رواه أحمد: ٥/ ٢٣١، والترمذي برقم: (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في الكبرى برقم: (١١٣٩٤)، وابن ماجه برقم: (٣٩٧٣)، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٣٠، ١٣١ برقم: (٢٦٦)، والحاكم: ٢ / ٤١٢، برقم: (٤١٣)، وصححه على شرطيهما، ووافقه الذهبي.

(١) ص١٢٧ الإسلام في الأسر.

(٢) ص١٣٤ المرجع السابق.

(٣) رواه النسائي (٣٩٣٩) وصححه الحاكم (٢/ ١٧٤) ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ ابن

=

ومن وقع أسيرًا في شباك المادة تحجب عنه رؤية الحقائق ولا يدرك معانيها ولا يفهم بعدها الروحي.

المثال الثاني (الحج): وكما هو معلوم في أصول الدين أن هذه الشعيرة هي الركن الخامس من أركان الإسلام، وأنه يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحج إلى البيت الحرام مرة في عمره متى استطاع إلى ذلك سبيلًا، لكن هذه الشعيرة تطرح في الخطاب الحداثي بعيدة عن مقاصدها وأهدافها.

وعلى سبيل البيان لهذا الفهم الحداثي لشعيرة الحج نجد أن أركون يصرح بأن الحج من شعائر العرب في الجاهلية، فلا حاجة لنا إلى أداء مناسكه كما نعرف، ويصرح قائلًا: "إن التاريخ يعلمنا أن الإسلام قد احتفظ بالكثير من الشعائر الخاصة بالدين العربي السابق عليه. فمثلًا شعيرة الحج إلى مكة، والإيمان بالجن، والتصورات الأسطورية المشكلة عند الشعوب القديمة، والكثير من القصص ذات العبرة، كل ذلك مرتبط بثقافات سابقة على الإسلام. ولكن القرآن يستولي من جديد على أنقاض الخطاب الاجتماعي القديم هذا، من أجل بناء قصد أيديولوجي جديد"(٢). فالحج -في زعمه- مأخوذ من التصورات الجاهلية الميثية القديمة، فالإسلام بنى وأسس خطابه على ما في أذهان العرب من تصورات بسيطة ساذجة ولا حاجة لنا الآن إلى الإبقاء عليه كما كان.

إن كون الإسلام هو دين الله وكون التشريعات التي جاء بها الأنبياء قبل

=

حجر في فتح الباري ٣/ ١٥ و١١/ ٣٤٥.

(١) رواه أبو داود برقم: (٤٩٨٦) وصححه الألباني برقم: (٤٩٨٥).

(٢) ص١٤١ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

محمد ﷺ قد تتشابه مع تشريعات الإسلام = لهو دليل على وحدة المصدر الذي ينهلون منه جميعًا، فهذه الفكرة هي فكرة صائبة لا إشكال فيها، لكن الزعم بأن شريعة الحج هي من تراث (دين العرب) وتصوير ذلك بأن الإسلام أخذ هذه الشعيرة من البشر سخافة لا يقول بها من له أدنى معرفة بعلم تاريخ الأديان.

ويرى عبد المجيد الشرفي في شعيرة الحج أيضًا أنها قد احتوت على رواسب ذهنية ميثية ضاربة جذورها في القدم، كرجم الشياطين وذبح الهدي، وهي أمور نفسية وتفريغ للمكبوت، ويصور موقف المسلم الحديث على أنه متبرم من كل ذلك في قوله: "إننا لا ننكر ما تمثّله عملية الرجم من تفريغ للمكبوت ومن تصريف للعنف في اتجاه بريء، ولعلّ الإنسان محتاج إلى ذلك احتياجًا دائمًا. ولكن هل ينبغي أن يتبرّم المسلم المعاصر بالرجم ويقوم به رغم ذلك؟ ألا يحق له في هذه الحال أن يغلّب الصدق مع النفس على مجاراة ما ليس مقتنعًا به تمام الاقتناع؟"(١).

وقد صرح بهذا النحو أيضًا الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي في قوله لصحيفة اللوموند الفرنسية بأن (الحج رمز من رموز الجاهلية الأولى، حيث كانوا يعبدون الأحجار، داعيًا التونسيين إلى توفير أموالهم للبناء والأعمار"(٢)، فلا داعي إذن لإضاعة الأموال في هذه الشعيرة أصلًا، ويمكن الاستعاضة عنها بما ذكره أركون من الحج الروحاني العقلي.

فقد فرق أركون بين نوعين من الحج هما: الحج الشرعي والحج العقلي،

---

(١) ص ٦٥ الإسلام بين الرسالة والتاريخ.

(٢) جريدة الخبر التونسية بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٧م.

فالمسلم إذا لم يكن يمتلك القدرة المادية على أداء الحج، بإمكانه أن يحج وهو في بيته، عن طريق الروح والفكر والعقل. فالحج هو بالنية الصافية والمقصد الروحاني، وليس بالضرورة بأداء الطقوس الشكلانية المعروفة[١]، فهي ليست مهمة في نظره.

ويقول أركون أيضًا: "فقد يحج المرء ويؤدي جميع الطقوس بحذافيرها يوميًا، ولا يكفّ مع ذلك عن الغش أو الأذى أو الإساءة بمجرد عودته من الحج. بل إن الحج قد يزيده صلفًا وغرورًا وثقة بالذات، فيمعن في ارتكاب الأخطاء معتقدًا أن ذنوبه ستغفر له كلها لمجرد أنه حج. وقد لا يؤدي الإنسان أي طقس من الطقوس ومع ذلك يظل أخلاقيًا في تصرفاته ومحبًّا للعدالة والحقيقة، وفاعلًا للخير قدر المستطاع"[٢].

فالمسألة عند أدعياء الحداثة هي مسألة أخلاق، وليست مسألة عبادة مفروضة بأركانها وواجباتها من عند الله تعالى، ومطلوب من المسلم أداؤها كما جاءت في نصوص الوحيين.

ويظهر بجلاء ضلال التصور الحداثي للطقوس حين تفرّغ من إلزاميتها التعبدية، فالطرح الحداثي يجنح بالعبادات فيصورها وسائلَ محدودة الهدف والغاية محصورة في الإصلاح الأخلاقي، وعلى هذا يحصل التفلت من نصوص الوحيين بهذه الطريقة السافرة.

---

(١) راجع اللقاء الصحفي الذي أجري معه بعنوان: (محمد أركون، وذكريات أداء مناسك الحج الفقهي والعقلي) جريدة الرياض العدد ١٥٤٤٥، بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

(٢) ص٢٦ نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية.

أما سيد قمني[١] فله فهم آخر للحج، فالحج في نظره هو نوع من الطقوس الجنسية المعروفة لدى الجاهلية، فيقول: (الوقوف بعرفة من أهم مناسك الحج الجاهلي، فكانوا يتجهون إلى هناك زرافات ذكورًا وإناثًا، يبيتون ليلتهم حتى يطلع عليهم النهار. وإن العقل ليتساءل أمام مشهد ألوف الرجال والنساء يتجهون إلى الجبل ليبيتون هناك جميعًا حتى الصباح: ما وجه القدسية في هذا الطقس؟ إن لم يكن من قبل ذلك تجمعًا لممارسة طقس الجنس الجماعي طلبًا للغيث والخصب"[٢].

بل حتى شرب ماء زمزم عنده "من الطقوس المثيرة في الحج الجاهلي، ولا معنى لها إلا في ضوء احتفالات الخصب والجنس"[٣].

وكذلك حلق الشعر، يقول فيه: "لا يمكن فهمه بالمرة، إلا في ضوء طقوس الخصب الجنسية القديمة، والذي كان بديلًا عن الجنس الجماعي"[٤]، لأن معنى حلق هو: "ارتفع وطار في التفسيرات الفرويدية رمز للفعل الجنسي"[٥]. فالحج هو فعل وسلوك جنسي بكل تفاصيله، بدءًا من الوقوف بعرفة، وحتى الحلق بعد الطواف في نهايته، وتلقى هذه الدعوى بلا دليل، ولا أدنى تحرٍّ للدقة أو مراعاة

---

(١) كاتب مصري علماني من مواليد سنة ١٩٤٧م، صدر للقمني العديد من الكتب والدراسات؛ منها: (الحزب الهاشمي وكتاب رب الزمان). راجع مقالًا بعنوان: سيد قمني المفتري والمفترى عليه، للكاتب: محمد عبد الرحمن، بتاريخ: ٢٨/ ٨/ ٢٠١٦م، جريدة اليوم السابع على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ص١٦٢- ١٦٣ الأسطورة والتراث.

(٣) ص١٦٤ المرجع السابق.

(٤) ص ١٦٥ المرجع السابق.

(٥) هامش(١) ص ١٦٥ المرجع السابق.

للموضوعية أو احترامٍ لعقول المخاطَبين من عموم المسلمين، ممن يعرف الحج وقد أدى أو شاهد هذه الشعيرة.

لهذا الحد وصل الانحراف الحداثي، ولنا أن نتصور أن مثل هذا الهراء والتسطيح لعبادة الحج مما تسطر وتملأ به الصفحات. إن مثل هذا الهراء لو أُورِد على عوام المسلمين لمجّته فطرهم السليمة، فلا يصدر هذا العبث –الذي يسمى تحليلًا- إلا من خيال جانح مغرق في الضلال، لا يقيم وزنًا للدليل ولا الاستدلال الشرعي ولا العقلي.

المثال الثالث (الموت): هو مرحلة الانتقال الطبيعية للإنسان، للوصول إلى اليوم الآخر والحياة الخالدة، فهو للمؤمن قرب من الله وانتقال لعالم أرحب وأكثر فسحة وسعة من عالم المادة الذي يعيشه الآن، وقد أولى الإسلامُ هذه الحقيقة عنايةً واهتمامًا كبيرًا في النصوص الشرعية، بذكر تفاصيلها ومراحلها، من مرحلة الاحتضار وتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه، إلى مرحلة الدفن وما بعدها.

لكن كل هذه التفاصيل لا تناسب أمزجة أصحاب الخطاب التحديثي للإسلام ولا تروق لهم، يقول صاحب كتاب طقوس (العبور في الإسلام): "تتصل طقوس الموت في كل مجتمع بثقافة المجموعة وبعقائدها وبتصوراتها الدينية الأسطورية"(١). "ويبدو أن فكرة الروح وخلودها التي أكدها الإسلام واستغلّها لتأسيس بعض طقوس الموت لم تكن أمرًا محدثًا، فقد كان أغلب العرب في الجاهلية يعتقدون أن الإنسان يتكون من جسد هو الجسم أو المادة،

---

(١) ص٢٣٣ طقوس العبور في الإسلام.

ومن شيء لطيف ليس بمادة هو الروح أو النفس"[١]. والإسلام تأسس على اعتقادات العرب وطبيعة تصوراتهم، فجاء بقضية خلود الروح وبقائها.

وحقيقة الروح وحقيقة خلودها خلف هذا الجسد المادي لا تناسب حداثته الغربية التي أنتجت فكره، وطمست على عقله، فهو لا يرى وجود أمر آخرَ خلف هذا الجسد المادي، ووجود حياة أخرى ممتدة خارج إطاري الزمان والمكان النسبيين.

وهكذا بجرة قلم وبدون أي دليل شرعي أو عقلي تلغى حقيقة ضخمة، وهي حقيقة الروح التي يشهد لوجودها العقل والشرع، ولا يُقدم الكاتب أي مستند علمي لإنكار الروح سوى أن العرب كانوا يؤمنون بوجودها!!

وتقول رجاء سلامة في كتابها (الموت وطقوسه في الصحيحين): "وليست طقوس الموت في الإسلام ذات طابع إلزامي كما هو شأن الصوم والصلاة، أغلب ما فيها من الأحكام يتراوح بين الندب والإكراه.. كما تتسم طقوس الموت كما وصفها الصحيحان بالبساطة، فهي لا تستجيب لجميع حاجيات المجموعة الدينية إلا إذا تعقدت"[٢]. وذكرت أن "طقوس الموت كما صورها الصحيحان تحمل بصفة عامة طابع البداوة العربية ذات المؤسسات البسيطة، ولكنها تعكس أيضًا موقف الرسول منها"[٣].

وتقول: "لم ير الرسول داعيًا لتغيير الطقوس المتعلقة بجثة الميت، فاحتفظ

---

(١) ص٢٣٦ المرجع السابق.

(٢) ص٢٤٤ الموت وطقوسه.

(٣) ص٢٤٥ المرجع السابق.

بالطقوس الجاهلية، وهي التسجية والغسل والتكفين والدفن، ولم يتصور نمطًا آخر للطقوس الجنائزية"(١)، وهي تريد تصوّرًا وبعدًا حداثيًّا لكل هذه الأمور، وترمي إلى نتيجة تود الوصل إليها، وهي أنه لا داعي لبقاء كل هذه الممارسات الدينية كما قررها محمد ﷺ، وأنه يمكننا تجاوزها، وهكذا يظل استمرار البشرية في المحافظة على الجزء الحق من تشريعات الدين الحق الواحد الذي دعا له جميع الأنبياء، يظل هذا التشابه مقلقًا لأدعياء الحداثة، فكلما لاحظوا شيئًا منه صوروا الأمر على أنه اقتباس من البشر.

وللتأكيد على هذه النتيجة تقول رجاء سلامة أيضًا: "يبدو أن طقوس الموت لم تستقر كغيرها من الطقوس، ولم تتضح إلا بعد وفاة الرسول، ولكننا نلاحظ ترددًا كبيرًا حول الكثير من جزئياتها.. فلم يكن الصحابة –فيما يبدو– على علم دقيق بها.. ولا يدري المسلمون على وجه الدقة ماذا فُعل بالرسول عند موته، فقد ذكر تكفينه ولم يذكر غسله والصلاة عليه"(٢).

فكأنه لم يمت أحد في زمان الرسول ﷺ ولا في زمن أصحابه رضوان الله عليهم، لذلك لم يكونوا يعلمون ماذا يُفعل بالميت. بل تزعم أيضًا أنه لم يُنقل إلينا كيفية غسل النبي ﷺ ولا كيفية تكفينه ولا الصلاة عليه ولا تفاصيل كل ذلك!

وما أجهل أدعياء الحداثة بالنصوص الشرعية التي ذكر فيها كل ذلك، ولكن الجاهل ينكر ما لا يعلمه.

---

(١) ص٢٤٥ المرجع السابق.

(٢) ص٢٤٦ المرجع السابق.

وبهذه الانتقائية يتعامل الحداثيون مع الحقائق والأخبار المؤكدة، فهذه الكاتبة التي خصصت كتابها للحديث عن الموت في الصحيحين تغض الطرف عن مجموعة كبيرة من الأبواب التي عقدها الإمامان البخاري ومسلم رحمهما الله، ومنها: (باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما)، و(باب الكفن بغير قميص)، في كتاب الجنائز في صحيح البخاري، و(باب في كفن الميت) في كتاب الجنائز في صحيح مسلم، وكلاهما ذكر صفة غسله وكفنه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وتقول أيضًا: "لصلاة الجنازة مضمون سياسي. فهي إعلان عن انتماء الميت للمجموعة الإسلامية أو تذكير به، وهي دلالة على ولاء الميت والأحياء المصلين عليه للإمام، وحرمان الأشخاص اللااجتماعيين والأعداء من طقوس الموت؛ حماية للمجموعة وتأكيدًا لوحدتها وسلطتها"(١). فينبغي التخلص من هذا المضمون السياسي إذن، وإلغاء الصلاة على الأموات من المسلمين؛ حتى لا نحرم غيرهم من المشاركة السياسية في العصر الحديث، ولا نفرق بين المسلمين وغيرهم في التعامل.

وهكذا تختزل الكاتبة شعيرة الصلاة على الجنائز في الجانب السياسي فقط، ملغية كل الحكم الأخرى، وملغية أساس هذه العبادة وهو التعبد وطلب المغفرة للميت.

وتقول هذه الكاتبة أيضًا: "لقد بقيت أهم الطقوس الإسلامية من غسل وتكفين وصلاة ودفن، وما زالت القبور الإسلامية مفتوحة على باطن الأرض

---

(١) ص ٢٤٩ المرجع السابق

تسمح للإنسان بالتحول من العضوي إلى المعنوي، وتسمح له بالعودة إلى التراب؛ لأنه خلق في النشأة الأسطورية من تراب"(١).

ثم تقول: "ولعل تشريعاتنا اليوم لا تجيز للفرد اختيار نمط آخر غير الدفن رغم إجازتها له التبرع بأعضائه بعد موته. ولئن شاعت عادة حرق الموتى في أوروبا وأمريكا وبدت حلًّا عمليًّا ملائمًا لمشكل ضيق الأرض بأحيائها وأمواتها، فإنها لا تجد رواجًا في بلادنا"(٢)، وهذا بسبب تمسكنا بمنهج الإسلام في التعامل مع الميت وتطبيقنا لما ورد في النصوص الشرعية التي تريد منا الكاتبة أن نتجاوزها؛ لأنه قد عفا عليها الزمن في عصرنا اليوم، عصر ما بعد الحداثة، عصر غياب الأسس ونسبية الحقائق.

فالدفن في تصور الكاتبة ليس تعبدًا لرب خلق الإنسان، وهو أعلم بمصلحته وله الخضوع فيما أمر، إنما هو (طقس) ولّى زمانه بسبب ضيق الأرض وقلة القبور.

هكذا تُجعل هذه العبادة سطحية في الخطاب الحداثي، وتُفرَّغ من مضمونها التشرعي، وبهذا العبث اللامنهجي واللاموضوعي يتعاملون معها.

المبحث الرابع
ملاحظات نقدية

ولإتمام هذا البحث لا بد من وقفة لمناقشة وتفكيك ما لهذا الخطاب الحداثي في باب العبادات في الإسلام وكيف أن أصحابه يعتبرونها طقوسًا دينية بكل ما يحمله مصطلح الطقوس من مضامينَ ومعانٍ سلبية في الفكر الغربي،

---

(١) ص٢٣٦ المرجع السابق.

(٢) ص٤٤ المرجع السابق.

وكيف أنهم يجرّونها على باب العبادات في الإسلام.

ولابد لنا هنا أيضًا من بيان للموقف المسبق الذي يتبناه هؤلاء، الذي يوجه أقلامهم وكتاباتهم ويحرك أفكارهم ورؤاهم بعيدًا عن الحيادية والموضوعية في أثناء دراستهم للإسلام، وطرحهم لقضاياه على بساط الدرس.

إن النموذج الثقافي الغربي هو المسيطر على فكر هؤلاء القوم، وهو الذي يضغط باتجاه إحداث هذه الفوضى الفكرية والإسقاطات المنهجية على فهمهم للإسلام، وهو موقف يضغط لقراءة الدين وفق قيم وتصورات الحداثة العالمية، لمحاولات تتجه نحو إعادة ترتيب المشهد الإسلامي وفق هذه الرؤى والنماذج المستوردة، التي أصبحت هاجسًا يؤرق مضاجعهم لإحداث هذا التغيير، يقول عبد المجيد الشرفي: "فالإنسان اليوم محتاج إلى أن يفهم دينه وعقيدته فهمًا يتلاءم وثقافته العلمية والتاريخية والنفسانية والاجتماعية، أو على الأقل لا يتنافى معها"(١).

لذلك يستنجد هؤلاء بكل ما لاكه فلاسفة الغرب ومفكروهم في دراستهم للأديان والتسوية بينها جميعًا دون تمييز بين دين وآخر، وتفسيرها بأنها ظواهر إنسانية كباقي الظواهر الحياتية الأخرى الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. وجميعها تطرح على بساط الدرس والنقد والدحض، ويطبق المنهج التاريخي عليها، وتُفسّر جميعها بأنها ظواهر دينية تأثرت بمعطيات الزمان والمكان.

إن الأرضية المادية هي المنطلق الأساسي الخصب الذي ينطلق منه أدعياء الحداثة في تعاملهم مع العبادات الإسلامية، باعتبارها مجرد طقوس تقوم بأدوار متعددة ووظائف حيوية مهمة؛ للحفاظ على تماسك الجماعة المسلمة، وبقاء

---

(١) ص٤٤ الإسلام والحداثة.

واستمرار الدين الإسلامي كما هو. لذلك لا بد من تفتيته وادعاء تأثره بالأديان والثقافات الأخرى حينًا، وادّعاء تعرضه لعادات المجتمع وممارساتهم التاريخية حينًا آخر، وأن تصلب هذا الدين أمام عجلة التغيير كان بسبب جمود المؤسسة الدينية وأدوار الفقهاء الذين فرضوا على الناس هذه الشعائر الدينية؛ لإحكام السيطرة والمحافظة على رسوخ الدين واستمراره في مختلف العصور الإسلامية.

إن هذه الرؤى المادية الضاغطة على هؤلاء في قراءة الإسلام وما اشتمل عليه هي رؤى غارقة في النسبية، وتجعل الإنسان لا يؤمن بحقيقة موضوعية.

يقول محمد الشرفي في كتابه (إسلام المجددين) وهو يحكي طبيعة هذه الرؤيا: "الحداثة علاوة على أنها التخلص من حالة الوصاية فإنها تمرّد على ما عدّ قدرًا محتومًا"(١). ويقول أيضًا: "إن الحداثة تؤدي حتمًا إلى النسبية الشاملة، في مجالات العلوم والفنون والفلسفة والأخلاق، وحتى في مجال العقيدة"(٢)؛ "لأن الإنسان الحديث لا يؤمن بالحقيقة المطلقة، هو ينطلق من فهم جديد يرى للحقيقة وجوهًا عديدة، وكيفما قلّبتها ظهر لك منها وجه قد يكون عنك مخفيًّا. الحقيقة بهذا المفهوم تاريخية مثلها في ذلك مثل تاريخية الإنسان الذي أنتجها"(٣).

الإنسان الحديث إذن -في زعم أدعياء الحداثة- لا يسلم البتة بوجود حقائق موضوعية ناجزة، ولو كانت هذه الحقيقة هي الدين، بل إن الدين المتمثل في

---

(١) ص٢٧ إسلام المجددين.

(٢) المرجع السابق وبنفس الصفحة.

(٣) ص٦١ المرجع السابق.

الوحي المنزل في نظر هذا الخطاب الحداثي ليس هو حقيقة مطلقة، فكل الأمور نسبية غارقة في تاريخيتها، فالخطاب الحداثي يسعى إلى تجاوز التسليم بالوحي أصلًا، ويجهد بكل السبل في زحزحته ونقضه ورده، ونزع القداسة عنه، إذ الحداثة توجب على الإنسان المعاصر فهمًا مختلفًا جديدًا لكل شيء، وعدم التسليم لأي مطلق أو ثابت ولو كان من عند الله، وهو ما يتبجح به أركون قائلًا: "الوحي ليس كلامًا معياريًا نازلًا من السماء"(١)، فإذا لم يكن الوحي نازلًا من السماء فحينئذ يمكن لهؤلاء الحداثيين العبث بمحتواه ونصوصه وأركانه وعقيدته، وتفريغ ذلك من كل معاني القداسة والتعالي.

إن الهدم الكامل لمفهوم الحقيقة الموضوعية في الفكر الحديث هو هدر لجميع المعارف والعلوم من الأساس، وهو ما تفطّن له بعض مفكري الغرب ومنهم الفيلسوف كارل ياسبرز(٢) حيث قال: "إن النزعة التاريخية التي تجعل كل شيء نسبيًا ستدمر معنى الحياة، ولن يكون في وسعنا أن نقيم علاقة بين الحقيقة الخالدة والتاريخ بغير إفساد الحقيقة، ما دام التاريخ يعلمنا أن نشك في كل شيء، وألا نؤمن بشيء، ولهذا يتعين علينا أن نؤكد دائمًا بكل وضوح أن ما هو حق لا تقتصر حقيقته على عصر أو زمن معين، ولا تنحصر قيمته داخل حدود تاريخية ضيقة، وما لا يصدق على كل العصور والأزمان بصورة مطلقة شاملة فليس من

---

(١) ص٨٥ القرآن والتفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني.

(٢) فيلسوف ألماني وطبيب نفساني ولد سنة ١٨٨٩م، ويعد من أهمّ دعاة الوجوديّة الألمانيّة، من مؤلفاته: (العقل والوجود وكتاب في الحقيقة)، توفّي كارل ياسبرز ببال سنة ١٩٦٩م. انظر: ص ٧٣٨ وما بعدها معجم الفلاسفة.

الحق في شيء"[١].

إن الدين الإسلامي بكل ما اشتمل عليه من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق هو حقيقة موضوعية ثابتة لا علاقة لها بحدود التاريخ وقيود الزمان والمكان، ليس كسائر الأديان الأخرى التي طرأ عليها التغير والتبدل وخضعت لمشروطية الزمان والمكان.

وجوهر الدين الإسلامي قائم على أساس التسليم وفكرة الطاعة المطلقة التي هي المحك الحقيقي الذي يميز العبد المؤمن من غيره، فالعبودية هي الخضوع والاستسلام لله تعالى، وفي بيان هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضيًا به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. فأقسم: أنهم لا يؤمنون حتى يحكّموا رسوله، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، وحتى يسلموا لحكمه تسليمًا، وهذا حقيقة الرضا بحكمه، فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان، ومتى خالطت القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي بروح الوحي، وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقى الإسلام بصدر منشرح = فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء

(١) ص٤٧ تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية.

المحبوب لله ورسوله"(١).

وهذا التسليم والرضا بالدين ليس تسليمًا اعتباطيًا يتخذه المسلم لخرافة أو دجل أو ضعف عقل أو قلة بحث أو محدودية تفكير أو تصور، إنما هو تسليم موافق للعقل وموافق للفطرة، ومن نظر في دلائل النبوة والأسس العقلية المحكمة التي بني عليها الإسلام ازداد إيمانه وتسليمه لهذا الدين، وازداد يقينه بحاجة البشرية إليه، باعتباره منهج حياة يسمو بالنفوس في مدارج الكمال والرقي الإنساني بعبادة هذا الإله المتفرد بالكمال والجمال والعظمة.

إن العبادة في الإسلام إذًا ضرورة صلبة يحتاج إليها الإنسان؛ ليخضع وينقاد إلى خالقه، وهي شعور وجداني واحتياج فطري قبل أن تكون أعمالًا وأقوالًا وممارسات شكلانية، وعندما يختارها المؤمن فإنه يقوم بها من غير سخط ولا إكراه، والمبدأ هو ما رسمه النص القرآني: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إن العبادة في الإسلام تشريف لهذا الإنسان وتكريم له بالانتساب والانتظام في فلك الخضوع لله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا﴾ [مريم: ٩٣]. وهذا ما يمنح المؤمن معاني القوة والعزة عندما يضاف العبد إلى الله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٦٥] ويعطى لحياته المعنى.

إن العبادة تجعل الإنسان مفعمًا بالحياة والأمل والطمأنينة والسلام:

---

(١) (٢/ ١٨٩) مدارج السالكين.

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨]، فلا يأنف من عبادة الرحمن إلا عديم الذوق فاقد جمال الحياة.

والعبادة بكل أشكالها هي مسابقة وتنافسٌ في الخيرات للفوز بالجنات ونيل أعلى الدرجات: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧]. فالعبد المؤمن في ميدان سباق ومحاولة للفوز بأعلى الجنان استجابة لأمر ربه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]، فجسد المؤمن في الأرض وروحه معلقة في السماء.

والغاية العظمى من العبادة هي الإيمان بالحياة الخالدة ولقاء الله في الدار الآخرة: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. فليست الحياة الدنيا في نظر المؤمن هي النهاية، وليست هي كل شيء.

إن حياة الإنسان المؤمن في هذه الدنيا هي حياة ترقب وشوق وانتظار لما يجاوزها، بخلاف غير المؤمن الذي يعمل لأجل هذا الحيز المادي المحدود، ويرى أن الدنيا هي الحيز الوحيد الذي يتحرك في فلكه ويعيش لأجله، لكن معضلة الموت وما بعده لا زالت تقلق برهبتها فكره وترهق عقله، فكيف يموت الفيلسوف والفلكي والفيزيائي والطبيب والكبير والصغير ولم يصمد أحد أمام هذا الحقيقة المطلقة ولا يعلم عن سرّها أحدٌ.

فبالرغم من عظم هذا التقدم الهائل والمذهل في وسائل التحكم والتمكن والسيطرة في فهم المادة واكتشاف أسرارها، وبالرغم من حجم هذا التضخم

المستمر في المكتشفات والمعلومات والحواسب والإلكترونيات وخدمتها للإنسان، وتحقيق الارتقاء والرفاهية الحياتية، وتحسين مستوى جودة الحياة في أعلى مستوى متصور = إلا أنها لم تقدم جوابًا حول حيرة معنى هذا الوجود الإنساني وقلق ورهبة المصير بعد الموت.

لكن المفهوم الإسلامي للعبادة يعطي الإنسان أبعادًا روحية مطلقة، ويفتح له أفاقًا رحبة تسكّن من قلقه الوجودي، وتغلق حيرته، وتجعله يسلم لقدر الله العجيب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

❋ ❋ ❋

الخاتمة

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والصلاة والسلام على الرسول الأمين صاحب الرسالة الخاتمة وصاحب الدين القويم، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه البررة، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين،

أما بعد؛ ففي ختام هذه الجولة التي تعرضت الدراسة فيها لبيان مفهوم الطقوس عند الحداثيين، وذكرت نماذج من توظيفهم للمصطلح على العبادات في الإسلام، وعرضت أبرز الملاحظات النقدية والشرعية عليها، آن الأوان لتسجيل أهم النتائج والتوصيات، التي كان من بينها:

١-أن الدين في المفهوم الغربي يتكون من عنصرين أساسيين؛ هما: المعتقد والطقوس الخاصة بالمعتقد، وكل منهما يدعم الآخر ويقويه.

٢-أن مفهوم الطقوس الدينية هو مفهوم غربي، معناه العبادات والعادات والشعائر والممارسات الدينية.

٣-أن مصطلح الطقوس هو مصطلح جديد في فضائنا الفكري، ليس من إنتاج ثقافتنا العربية أو الإسلامية، بل هو من المصطلحات المستوردة من العالم الغربي.

٤- أن وظائف العبادات في الخطاب الحداثي تختزل في ثلاثة أدوار هي: الوظيفة الرمزية والوظيفة الاجتماعية والوظيفة النفسية.

٥- أن المحددات والمعالم التي ينطلق منها الحداثيون في كتاباتهم النقدية للإسلام هي الخلفية المادية التي لا تؤمن بدين خارج نطاق التاريخ، لذلك

جاءت رؤيتهم للعبادات في الإسلام متناسقة ومنسجمة تمامًا مع المفهوم الغربي للطقوس الدينية.

٦-أن نقد الحداثيين للعبادات في الإسلام كان نقدًا منفتحًا على المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني الغربية، دون اعتبار لخصوصيتها الثقافية ونسبيتها الزمكانية.

٧-يحاول الحداثيون نزع الثقة في العبادات الإسلامية بأكملها، فهي -في زعمهم- من وضع الفقهاء الذين ألزموا الناس بالخضوع لأحكامهم؛ حفاظًا على مقتضيات الاجتماع الديني على حساب الحرية الفردية.

٨-أهمية فتح قنوات تواصل علمي ومعرفي، وعقد حلقات نقاش وحوار من أهل التخصص الشرعي والفكر الأصيل مع شرائح واسعة من النخب الثقافية وصناع القرار وطلاب الجامعات؛ للتأصيل العلمي والتأطير المنهجي.

٩-التركيز في أثناء تدريس فقه العبادات على بيان الحكم والعلل، وألا يدرس الفقه مجردًا، كما أوصي بإبراز الجانب الجمالي للتشريع الإسلامي، والجانب الجمالي في العبادات خاصة، والتركيز عليه في الطرح الفكري الإسلامي.

١٠-أن الاهتمام بدراسة أفكار أدعياء الحداثة والوقوف على مؤثرات فكرهم وتتبع تشكله وفهم محركاته أمر مهم للدارس؛ يثريه ويقدم له معرفة معاصرة لما يستجد في عالم الأفكار، ويثير عقله ويستحثه على السعي لمزيد من التحليل والفهم، ومن ثم النقد والرد، وهو مهم للمكتبة العربية: بإضافة قيمة معرفية حديثة للبحوث والدراسات الفكرية المعاصرة.

١١-أوصي باهتمام الأقسام الشرعية في الجامعات بأن يوجهوا طلبة الدراسات العليا إلى دراسة أفكار ما بعد الحداثة، لكشف أصول أفكار المفكرين العرب الحداثية ومنطلقاتهم؛ ليتحقق دحضها وتحصين الشباب منها.

١٢-أن تكون هناك دراسات ميدانية لمواقع التواصل الاجتماعي؛ لمعرفة ورصد مدى تأثر شباب المسلمين بأفكار الحداثة العربية المعاصرة، وللوقوف على مدى تأثرهم بأعلام الفكر العربي الحداثي الذين اعتمدوا المناهج الغربية في التعامل مع الدين والتراث.

والله أعلى وأحكم وأعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الباحثة

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

- الاجتماع الديني ومفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، أحمد الخشاب، مكتبة القاهرة الجديدة، ط٢، ١٩٦٤م.

- الآراء والمعتقدات، غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، القاهرة، دار العالم العربي، ط٤، ٢٠١٦م.

- الأسطورة والتراث، سيد القمني، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، ط٣، ١٩٩٩م.

- الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية، فراس السواح، دمشق، دار علاء الدين، ط٨، ١٩٩٧م.

- الإسلام الآسيوي، آمال قرامي، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط١، ٢٠٠٦م.

- الإسلام بين الرسالة والتاريخ، عبد المجيد الشرفي، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٨م.

- الإسلام السني، بسام الجمل، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط١، ٢٠٠٦م.

- الإسلام في الأسر من سرق الجامع وأين ذهب يوم الجمعة، الصادق النهيوم، رياض الريس للكتب والنشر، ط٣، ١٩٩٥م.

- إسلام المجددين، محمد حمزة، ضمن سلسلة الإسلام واحدًا ومتعددًا، بيروت، دار الطليعة، رابطة العقلانيين العرب، ط١، ٢٠٠٧م.

- الإسلام والحداثة، عبد المجيد الشرفي، تونس، دار الجنوب، ط٣، ١٩٩٨م.

- الأشكال الأولية للحياة الدينية، إميل دوركايم، لندن، ١٩١٥م.

- الإنسان المستلب وآفاق تحرره، إيريك فروم، ترجمة: حميد لشهب، الرباط، شركة نداكوم للطباعة والنشر.

- الغصن الذهبي: دراسة في السحر والدين، جيمس جورج فرايزر، ترجمة: نايف الخواص، سوريا، دار الفرقد، ط١، ٢٠١٤م.

- أعلام الفكر العربي: مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، د. السيد ولد أباه، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٠م.

- أوهام الهوية، داريوش شايفان، ترجمة: محمد علي مقلد، بيروت، دار الساقي، ط١، ١٩٩٣م.

- تاريخ الفلسفة بنظرة عالمية، كارل باسبرز، ترجمة: عبد الغفار مكاوي.

- تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، بيروت، دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م.

- خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا: المنظّرون المعاصرون، جون سكوت، ترجمة: رشا جمال، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٢م.

- خمسون عالمًا اجتماعيًا أساسيًا (المنظّرون المؤسّسون)، تحرير: جون

سكوت، ترجمة: رشا جمال، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٢م.

- دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، فراس السواح، سوريا، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط٤، ٢٠٠٢م.

- الدين والتدين التشريع والنص والاجتماع، عبد الجواد ياسين، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

- روح الحداثة المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، د. طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.

- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعت السجستاني، تحقيق: محي الدين عبدالحميد، دار الفكر.

- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- طقوس العبور: دراسة في المصادر الفقهية، عبدالرحيم بوهاها، تقديم: عبدالمجيد الشرفي، لبنان، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٩م.

- علم النفس التحليلي، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: نهاد خياطة، سوريا، دار الحور للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٧م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، بيروت، دار المعرفة.

- الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ط٣، ١٩٩٦م.

- فهم القرآن الحكيم، القسم الثالث، محمد عابد الجابري، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، ط١، ٢٠٠٩م.

- في إشكالية المقدس أو تحولات التغير الاجتماعي السيكولوجية، نور الدين طوالبي، ترجمة: وجيه البعيني، بيروت-باريس، منشورات عويدات، ١٩٨٨م.

- قاموس مصطلحات الإنثولوجيا والفولكور، ترجمة: محمد الجوهري وحسن الشامي، مصر، دار المعارف، ١٩٧٢م.

- القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، ط٢، ٢٠٠٥م.

- ليلة القدر في المتخيل الإسلامي، بسام الجمل، سوريا، دمشق، مؤسسة القدموس الثقافية، توزيع: خطوات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧م.

- متخيل النصوص المقدسة في التراث العربي الإسلامي، حمادي المسعودي، تونس، دار المعرفة للنشر، ط١، ٢٠٠٧م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٧، ٢٠٠٣م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت، دار الفكر.

- مُستقبلٌ وهم، سيغموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط٤، ١٩٩٨م.

- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، مصر، مؤسسة قرطبة.

- معجم الأثنولوجيا والأنتروبولوجيا، بيار بونت وميشال ايزار وآخرون، ترجمة: د. مصباح الحمد، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (مجد)، ط٢، ١٤٣٢هـ.

- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، ط٣، ٢٠٠٦م.

- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، القاهرة، دار قباء الحديثة، ط٥، ٢٠٠٧م.

- معجم مصطلحات علم الاجتماع، جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط١، ٢٠١١م.

- المعجم الوسيط، بيروت، دار الأمواج للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

- المقدس والمجتمع، نور الدين زاهي، المغرب، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ٢٠١١م.

- الموت وطقوسه من خلال صحيحي البخاري ومسلم، رجاء بنت سلامة، القاهرة، دار رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

- موسوعة علم الاجتماع، جوردون مارشال، محمد الجوهري أحمد زايد، ترجمة: محمد محيي الدين ومحمود عبدالرشيد وعدلي السمري وهناء الجوهري، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، ط٢، ٢٠٠٧م.

- موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.

- موسوعة لالاند الفلسفية، لأندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت، مكتبة عويدات، ط٢، ٢٠٠١م.

- نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، محمد أركون، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، ٢٠١٣م.

❁ المراجع الأجنبية

- C.G. Jung,Psycology and Religion (in The Collecled Works).
- Cazeneuve, Sociologie du rite, , Paris, PUF, 1971.
- Roger Bastide, Sociogie des mutations religieuses, Paris, PUF, 1970.
- Eliade.m, Aspects du mythe, Gallimard, 1963.
- Weber.M, Economieet Societe, Pion, 1995, Tom 2.
- Erick Fromm, Psychoanalyseet religion, Paris, 1968.
- Larousse, Ed 1988.Dictionary of the French language,-
- Goffman, Erving, les rites d’interaction, (trad. de l’anglais par Alain Kihm,) Paris,
- Minuit, coll «le senscommun», 1974.

❁ **الصحف والمجلات والمقالات والأبحاث والبرامج التلفزيونية:**

- جريدة الخبر التونسية بتاريخ ٦/ ١/ ٢٠٠٧م.

- جريدة الرياض العدد ١٥٤٤٥، بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤٣١هـ.

- مجلة الهدى المغربية، عدد سبتمبر سنة ١٩٨٦م.

- مقال بعنوان: (الأسطورة والطقس)، فراس السواح على الشبكة العنكبوتية.

- مقال بعنوان: (الشعائر الإسلامية في الدراسات المعاصرة)، طارق حجي، بتاريخ: ٢/ ٨/ ٢٠١٦م، على الشبكة العنكبوتية.

- حوار مع طارق حجي، حاوره: فيصل خاجه، بتاريخ: ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

- حوار مع المفكر السوري فراس السواح، حاوره: عبد الستار الكفيري، بتاريخ ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، على موقع الآوان على الشبكة العنكبوتية.

- مقال بعنوان: (إسلام المجددين لمحمد حمزة مانيفست للتجديد في الإسلام) للكاتب: خالد غزال، بتاريخ: ٨/ ١٢/ ٢٠١٣م، على موقع مجلة الآوان على الشبكة العنكبوتية.

- مقال بعنوان: (تقديم كتاب عبد الرحيم بوهاها طقوس العبور في الإسلام: دراسة في المصادر الفقهيّة)، للكاتب: بسام الجمل، بتاريخ: ١٦/ ٩/ ٢٠١٣م، موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)على الشبكة العنكبوتية.

- مقال بعنوان: رجاء سلامة بين مقاومة القمع والتهديد بالقتل، للكاتب: عبد الدائم السلامي، بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠١٥م، جريدة الحياة.

- مقال بعنوان: (سيد قمني المفترى والمفترى عليه) للكاتب: محمد عبد الرحمن، بتاريخ: ٢٨/ ٨/ ٢٠١٦م، جريدة اليوم السابع على الشبكة العنكبوتية.

- حوار مع المستشار عبد الجواد ياسين(الدين ام التدين؟ التفكير من خارج الإطار)، حاوره: محمد الخراط، بتاريخ ١٧/ ٧/ ٢٠١٤م، على موقع مؤسسة (مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث) على الشبكة العنكبوتية.

- حوار مع آمال قرامي، قناة العربية بتاريخ: ٧/ ٥/ ١٤٣٨هـ، برنامج (منارات) على موقع القناة على الشبكة العنكبوتية.

❁ ❁ ❁

فهرس المحتويات